

المشروع القومي للترجمة

الموت في الشمس

رواية

تأليف : پيتر پالانچيو

ترجمة : سمير عبد ربه

344

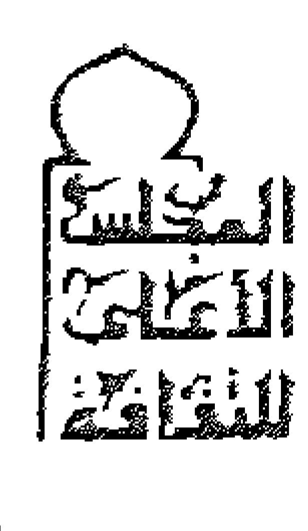
المشروع القومى للترجمة

الموت فى الشمس

(روايــة)

تأليف : بيتر باالانجيو

ترجمة : سمير عبد ربه



٢٠٠٢

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد ٣٤٤
- الموت فى الشمس (رواية)
- بيتر بالانچيو
- سمير عبد ربه
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة كاملة لرواية :

Dying in the Sun

Peter K. Palangyo : **تأليف**

Heinemann : **الصادرة عن**

1968

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس : ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 **Fax :** 7358084 **E.Mail** : asfour@onebox.com

ولد «بيتر بالانجيو» عام **١٩٣٩** وبعد أن أظهر اهتماماً كبيراً بالأدب ترك دراسته العلمية وبعد حصوله على الدبلوم من جامعة «ماكيريرى» عمل مديراً لمدرسة لياموبجو الثانوية بدار السلام (عاصمة تنزانيا) وأثناء هذه الفترة التحق بجامعة «لوا» لدراسة الأدب ثم سافر للعمل بالتدريس فى إحدى جامعات أمريكا، وانتقل بعد ذلك للعمل ملحقاً ثقافياً لسفارة تنزانيا بموسكو وأخيراً عاد للولايات المتحدة مرة ثانية للعمل بمؤسسة فولبرايت .

إنها الرواية الأولى من تنزانيا التى يتم نشرها فى سلسلة الكتاب الأفارقة A. W. S لما تتمتع به الرواية من لغة هى مزيج من البساطة والقوة والعذوبة .

(١)

عند النهاية الجنوبية من القرية كانت الظلال المائلة تعانق الوادى المتعرج، فاستطاع تانيا أن يخمن الوقت، وكان عليه أن يواصل السير سبعة أميال أخرى .

مسح العرق المتصبب فوق وجهه بأكمام قميصه الممزقة فتسللت قطرات من العرق إلى عينيه وفمه ثم بصق بغضب وراح يفك عقدة المنديل القذر من فوق رقبته وهو يلعن العالم والحياة وأولئك المتخمين فى عرباتهم الرشيقة.

أصابه اليأس فسقط فوق الحشائش الساخنة مغشياً عليه ولم يعد يشعر بالدم المتدفق من جرحه فوق بنطاله الممزق .

كانت حوالى الخامسة ومازالت الشمس حارقة ولم يكن تانيا مدركاً لعريه شأن كل المنسحقين الذى يعيشون فرادى ولايحسون بالعرى.. حاول أن يتجنب حرارة الشمس فعاودته مشاعر الألم وأحس بأحشائه تتلوى من الجوع، وكأنه فى حلم أو كابوس حتى أصبح حلقه جافاً ولم يعد بمقدوره ابتلاع شىء.. تطلع حواليه فأدرك أنه فقد حقيبته التى تحتوى كل ما يمتلك فى الحياة بالإضافة إلى إنجيل سانت چون المكتوب باللغة

السواحلية والذى لم يقرأه بعد. كان الإنجيل يمثل قيمة كبيرة بالنسبة له ليس لشيء سوى أنه هدية من أمه.. كانت بالحقيبة أيضاً بعض النقود القليلة وبعض لقم الطعام التى تكرمت عليه بها سيدة.

أصبح ظله أكثر طولاً وبالنظر إلى الرصيف المؤدى إلى قريته تراءى له الطريق كالأفعى الملتوية التى تلاشى ذيلها فى الأفق المليء بالأعشاب الساخنة. حاول التخفيف عن نفسه قائلاً: يجب أن أصل إلى قريتى قبل أن يموت أبى!!

ظلت الذكريات تلاحقه وهو يجاهد من أجل الوصول، فأبصر أمه حين قالت له ذات يوم وهى تنحنى فوق الأرض وتصحن الفول: إن بذرتك متعفنة كما أنك تعانى مرضاً خطيراً.

لم يكن تانيا يعتقد فى مثل ذلك الكلام، لكنه تذكر طفولته ووجهه الدميم وساقه المتقوسة ورأسه المليئة بالندوب.. لم يكن تانيا سريع البديهة وكان الأولاد يسخرون منه ويدعونه بصاحب الرأس البرميل، وهكذا عرف العزلة ولم يعد يلعب إلا مع أخته التى راحت بدورها تدعوه بالبنت.. كانت أخته أمينة أقرب الناس إليه وكان يحبها، ولم يحدث أن أطلقت عليه صاحب الرأس البرميل إلا بعد عشره سنوات من اللعب معاً وحينئذ ألقى عليها بحجر كبير فى غضب فكسر قدميها، وكان هذا الحدث سبباً فى تغيير حياته إلى حد كبير مما جعله يختفى فى القرية ثلاثة أيام عرف خلالهما التعب والعجز عن

مواجهة أى شىء إلى أن وجده ماسينا العَّراف فى حالة شديدة من الجوع والإغماء وهو يلف رقبته بمنديل يخفى تحته محاولة للانتحار .

تذكر تانيا ابتسامة الاعتذار فوق وجه أخته وهى راقدة فوق أرضية الكوخ مربوطة القدمين فى عمود وضعه ماسينا لمثل هذه الأغراض .

تذكر كلمات أمينة الأخيرة النابعة من أعماق روحها : (أنت لست مخطئاً يا أخى لكنك تختبىء وراء قبحك . . إننى آسفة جداً وأرجوك أن تغفر لى) .

انحنى إلى جوارها متأثراً وألقى برأسه فوق وجهها ثم بكى بمرارة دون أن يقول شيئاً ودون أن تتوقف الدموع الغزيرة التى ظلت تتدفق فوق وجنتيه الكبيرتين ، ثم شعر بفجوة بينه وبين أخته وأبصرها نقية كالوادى الذى رآه ذات يوم فى حلمه .

كانت أخته فى ذلك الوقت تتسم بهدوء مخيف وكان ماسينا دائماً يردد : (إن فترة من الهدوء تنتاب المرء قبل موته هى بمثابة السلوى الأخيرة) .

زحف تانيا فوق ركبتيه ولوح بإحدى يديه فوق وجه أمينة لطرد الذباب بينما ضغط بيده الأخرى فوق الأرض وكأنه يقول لها : (لا داعى للاعتذار) .

لاحت أمامه صورة جدته التى ترى بعين واحدة حين سارت بهدوء وهى مثقلة بأحزانها وشيخوختها ثم رفعته فوق حجرها وراحت تهزه برقة حتى غلبه النوم ولم يستيقظ إلا على صوت

الجيران والأقارب الذين ظلوا يتطلعون إليه بنظرات ملؤها الاتهام والشفقة في آن واحد .

ساد الحزن داخل كوخ العائلة وخارجه وعلت في الأفق صرخات النسوة العجائز اللاتي وجدن الفرصة للبكاء على أبنائهن وأقربائهن الموتى .

كانت أخت أمينة ذات الأعوام الثلاثة تضغط فوق كتف جدتها وتقول : (ماما .. كم من الوقت ستبقى أمينة هنا .. أما زالت أمينة نائمة ؟ !)

داعبتها الجدة برقة ولم تقل شيئاً وسرعان ما ظهر الحزن واضحاً فوق وجهها .

لم يستطع تانيا بعد استيقاظه أن يفهم شيئاً وسط صراخ وعويل النسوة العجائز وحين حاول جاهداً كان كل شيء كقوس قزح بلا ملامح محددة .. حاول أن يتذكر ذلك المشهد جيداً لكنه لم يستطع النبش في ذاكرته أكثر من ذلك .

كان محطماً كالقضيب المعدني الضعيف وها هو ينظر دون أن يرى ويتصنت دون أن يسمع لكنه استطاع فقط أن يتذكر مشهد المقبرة الذي جال بخاطره ملايين المرات حين كانت أمينة ملفوفة في جلد الماعز المبلل ويقومون بإسقاطها في الفتحة مع غصن من النبات وقد أقاموا سياجاً بالقرب منها حتى لا يحفر أحد مكانها .

كانت تلك هي الذكريات التي اجتاحت تانيا وهو راقد فوق الأرض القذرة التي ابتلعت أمينة منذ عشر سنوات ، تناول حفنة

من التراب في يده ثم وضعها في اليد الأخرى تسيل بين أصابعه لتعود إلى الأرض مرة ثانية وكانت أشعة الشمس هناك فوق التلال وقد أصبحت الحرارة أقل حدة حتى لم يعد يؤرقه العطش رغم أن حلقه كان جافاً ما يزال.. حاول النهوض لمواصلة السير لكن مفاصله كانت تؤلمه وظل يترنح قليلاً في سيره فبدأ ظله طويلاً وراح يضحك ضحكات غريبة ويقول لنفسه:

«إن ظلي هذا هو الصديق المخلص الوحيد الذي لم أصادف مثله في حياتي».

مضى في سيره بخطوات أكثر حدة كحيوان يجبرونه على السير كان يترنح قليلاً وهو يصعد حافة تلال القرية الجنوبية، ظل ينظر إلى أسفل مستمتعاً برؤية القرية من فوق التلال، القرية بدون أهلها بحماقاتهم وأمراضهم ومعاناتهم وموتهم المحقق.

تذكر قول أمه منذ زمن بعيد: «سيأتي يوم يعيش فيه الناس سعداء وأصحاء ولن يموت إلا الكبار»، كان صغيراً ولم يستطع وقتها أن يفهم ما قالته أمه التي ماتت وهي تلد في موسم الحصاد التالي وتمنى لو أنها عاشت لتفسر له ما قالت.

تسلق الانحدار الأخير فأصبح في مواجهة قرية «كاشا وانجا» الجميلة وكان غروب الشمس يصوب أشعته الذهبية فوق القرية وكأن فتاة شريرة ترقص الكانجا أمام المراهقين «كاشا وانجا» تلك القرية الشهيرة التي تطوقها الجبال وليس لها سوى طريقين للدخول أو الخروج أولهما من الشمال حيث يفتح الشيطان

أمعاءها للجلادين وغزو الغرباء والأمراض الكريهة القادمة مع الرياح والفيضانات القديمة والطريق الثانى من الجنوب حيث يفتح الله طريقاً للهرب من كل الأحزان والمصائب .

ذاب قلب تانيا وهو يتطلع إلى القرية من أعلى وتبدت له الأشجار أكثر طولاً وغموضاً وكأنها أرادت أن تؤكد نفسها قبل غروب الشمس . . كان دخان العشاء المنبعث من الأكواخ يداعب انحسار الضوء بحياء عند جوانب التل واللون البرتقالى يتقدم بحذر نحو أركان القرية الشرقية . . ظل تانيا يتنفس بشدة ليملأ رئتيه القويتين بهواء القرية الناعم وكان قلبه يدق بشدة كما تنجذب روح رجل نحو امرأة فاتنة وغريبة .

كانت بداية المساء حيث تعود الماشية إلى القرية وتخور من أجل صغارها الذين يصرخون خوفاً من فزع الليل وحيث الأمهات مشغولات بأوانى الطهى لملء بطون الرجال فيصبح من اليسير رؤية النار المشتعلة متفرقة عبر القرية مع نعيق البوم الذى يجلب الموت . . استطاع تانيا أن يستمع إلى البكاء الصادر من الرسالة التى تسلمها وراح يتهادى فى مشيته ببطء ولامبالاة حتى وصل إلى باب البيت وقال : هودى ! !

كانت هودى أخته الصغرى أول من سمعه ولم تخطىء فى التعرف على صوته فألقت بعنقود الموز الذى قطعته للعشاء وهرعت إلى الخارج ثم صرخت قائلة : «تانيا فى البيت . . تانيا فى البيت» . . ساد هرج ومرج كبير بين أهل البيت وسارع كل من أخويه وأخته الأخرى إلى الخارج حتى التصقوا بباب الكوخ

وهتفوا : «مرحباً بك يا تانيا» ثم جذبوه إلى الداخل فانحنى ليعبر الباب إلى دفء الكوخ المليء بالدخان .

تقدم نحو جدته التى تسمع وترى بصعوبة وركع إلى جانبها فقالت : «ابنى .. اقترب أكثر حتى أشعر بك»

دنا منها حتى لامسها فاستطردت : «أمك لم تعد ترى جيداً»

جلس تانيا بينها وبين بقايا النار المنطفئة التى كانوا يعدون عليها العشاء وبالنظر حواليه أبصر ظلاً مشعاً فوق الحائط المصنوع من الأعشاب يصعب تحديد شكله وكانت أخته وأخويه الواقفون حواليه فى هدوء وكأنهم يراقبون ميلاد أحد الماعز .

تحسست أم تانيا بيدها الخشنة المليئة بالعظام وجه تانيا ورقبته وأكتافه كما يتحسس الطبيب جسد مريض ثم تنهدت بعمق وسالت الدموع فوق وجهها القديم .. خفض الحاضرون رءوسهم كما يحدث فى الصلاة وقالوا : «هل مات يا أمى .. هل مات الأب»؟؟ فراح تانيا يسأل عن أبيه .

(٢)

شخص ما كان قد أخبره في المدينة بأن والده مريض ويوشك على الموت ويتمنى رؤية ابنه ليباركه ويخلف له شئون العائلة فسارع تانيا .. دون تفكير أو اهتمام كبير - ببيع البنطلونين الوحيدين اللذين يملكهما ثم بلا إدراك أو اهتمام أيضاً جازف بفقد ستين شلناً في الشهر أجر وظيفته بعد أن رفض رئيسه الموافقة على الإجازة لزيارة والده المريض قائلاً : «ليس ذنبي أن والدك يوشك على الموت فإما وظيفتك أو وجودك بجوار سرير أبيك» ثم ألقى تحت قدميه بآخر شلنين هما كل ما تبقى له بعد الذى سحبه من راتبه مقدماً ، ظل تانيا يتساءل عما إذا كان والده قد مات أم لا ، يا الله .. والده ! ! إنه لم يعرف أبداً ما تعنيه كلمة أب في أى وقت من الأوقات مثلما لا يفهم أبداً سبب مجيئه إلى هنا ولم يكن قلقه على أبيه أو تضحيته بعمله احتراماً من الإبن لأبيه أو نوعاً من التدين والورع فتلك أشياء لاتعنى بالنسبة له شيئاً ، لم يكن تانيا يعرف أبيه جيداً ، ذلك الرجل الذى طرده مئات المرات وهو جائع ومهلهل الثياب ، الرجل الذى تسبب في وفاة أمه بضربها الدائم العنيف ، لكن

حق الرجل الوحيد أن يطالب بالأبوة التي يعاني تانيا من جراءها لأننا حين نعاني معاً نكون عندئذ أقرباء .

- (لا . . أنا لا أبكي من أجل أبيك فأنا وأبوك ننتمي للقديم وسنموت بالطريقة القديمة، سنموت لنخفف عن أنفسنا متع وندوب الحياة)

وبيد مرتعشة تحسست أونيا أخت تانيا حبات القلادة القديمة التي فسدت حلقاتها والتي كانت ترتديها وهي فتاة صغيرة ثم استطردت : (ها أنذا أفعل مثل أولئك الغرباء الذين جاءوا إلى القرية بدين جديد . . كنت أسمعهم وهم يعدون الحبات ويتمتمون بكلمات مقدسة فوق شفاهم لكي يتجنبوا المحن، إن كل شخص يجمع حبات ندوبه ويعدها لتجنب المحن، وأحيانا يصل الأمر إلى حد الملل خاصة إذا ما كان عدد الحبات كثيرا فيرغب المرء في التوقف عن زحزحة الحبات بأصابعه، لا . . أنا لا أبكي من أجل أبيك وإنما من أجلك أنت، من أجل حبات الخرز التي حصلت عليها والحبات التي أثقلت نفسك بها وتلك التي سترثها فيما بعد)

ثم أضافت وهي تناجي نفسها : (لابد أنك جائع وظمآن، سوف أجد لك شيئاً تأكله وتشربه)

اختفت بسرعة داخل المطبخ المحاط بالعشب والذي بناه تانيا منذ عام مضى ثم بدأت أم تانيا في البكاء وأطبقت أصابعها فوق الأرض بشدة متوسلة إلى كل الأرواح والأقرباء الموتى أن يرحموا تانيا الذي هو ليس مسئولا عن سوء حظه، وعندئذ

شاركها الأولاد والبنات الصغار فى البكاء وكانت شفاهم تتحرك بالدعاء المقدس من أجل مشاكل الكبار التى لا يفهمونها، وربما من أجل أنفسهم.

تدفقت مشاعر تانيا بالحب والأسى وتدلت شفتاه إلى أسفل وهو يحبس دموعه وكانت أمه تهتز مثل أوراق الشجر حين زحف وأمسك ذراعيها برقة جعلتها تذوب أو تتجزأ إلى قطع صغيرة.

عادت أونيا بطاسة كبيرة من اللبن الحامض وتركتها جانبه فشعر بجفاف حلقه، كانت يداه مشغولتين فرفعت أخته الطاسة إلى فمه وسرعان ما ابتلعها بنهم كما تبتلع الصحراء ماء النيل.. هز رأسه راضياً وكأنه طفل انتهى لتوه من الرضاعة من صدر أمه الحنون. أمسك أمه برقة أكثر فأمكنه سمع ضربات قلبها العجوز ثم توقفت عن البكاء ورقدت بسلام فوق عظام تانيا الكثيرة والمتشققة.. نهض تانيا بهدوء كى لا يوقظها من السلام الوقتى الذى تنعم به وحتى لا يصطدم بجروحها ورافقها إلى سريرها الذى أعدته أونيا من جلد البقرة، مضى تانيا يطوف بذكرياته فأبصر أمه وهى فتاة صغيرة وبدينة حين كانت تذهب للنوم فى هدوء حاملة البطاطين المثقوبة التى تتغطى بها.

اتجه تانيا نحو النار وكان مصابا بالدوار شاعراً بتعب اليوم فوق أكتافه وراح يحرك جمرات النار المنطفئة ثم استدعى أخيه الصغير واقترب من أذنه هامساً له بأشياء لم يستطع أحد أن يسمعها لكن الصغير أدركها وطافت فوق شفتيه الهزيلتين

ابتسامة صغيرة . . كان الجميع يجلس حول تانيا واضعين أياديهم فوق كتفه وكانوا في وضع انحناء يعبر عن إحساس بالتضامن ولم يحاول أياً منهم أن يكسر الصمت بالكلمات .

مدد تانيا كلتا قدميه الطويلتين باتجاه النار المنطفئة وانفجر أخوه الصغير في الضحك ، ثم توقف وجلس في مواجهة أخيه أمام النار فطوقه تانيا بذراعه وشده إلى جانبه وظلوا جميعاً في انتظار من يكسر الصمت الذى ساد الكوخ مثل صمت القبور حتى تلاشى وهج النار الذهبى في الظلام وابتلعهم الصمت واحداً بعد الآخر وراحوا في النوم وقد علق أصغرهم رأسه ورقبته المترهلة فوق فخذ أخيه ولم يعد سوى تانيا هو المتيقظ الوحيد فقد كان جسده وعقله مشبعين بالأحاسيس .

تمالك قوته ووضع كلاً منهم في فراشه المحدد فوق الأرض الباردة والعارية إلا من أوراق الموز مردداً لنفسه وكأنه يؤكد براءته : « سوف أضعهم جميعاً في الفراش ، ها أنت ترى يا إلهى أننى أضعهم في الفراش بهدوء ورقة » .

كانت أونيا ذات الأربعة عشر عاماً مستغرقة في النوم فبدت كسيدة غير متأنقة وبالنظر إليها عرف تانيا أنها جميلة وفاتنة ، أشعل عود الثقاب لرؤيتها بوضوح أكثر فأبصرها امرأة كبيرة وكانت علامات الإجهاد مرتسمة فوق وجهها الشيكولاتى وصدرها المخروطى تحت ثيابها الرخيصة كان حاداً كالدبوس ، كانت قوية البنية وبدينة بما يكفى لأن تلد كثيراً من الأطفال فالخصوبة والقوة من سمات العائلة .

ظل يفكر وأقسم بأنه سيقتل من يتزوجها إذا ما أساء معاملتها مثلما كان يفعل أبوه مع أمه، نظر إليها مرة أخرى وهو يقاوم النوم الذى يغالبه فى ضوء عود الثقاب، تزايدت ضربات قلبه فى صدره أمام جمال أخته فتذكر القصة القائلة بأن الرجل إذا رأى الرب فإنه سيموت، تفحصها بعناية حتى احترق عود الثقاب وارتعش بين أصابعه فألقى به بسرعة وظل يلعق أصابعه ثم ركع إلى جوارها فى ظلام الكوخ وأحد ذراعيه تحت رقبتها اللينة والذراع الأخرى تحت أردافها المستديرة البارزة، رفعها ببطء كجندى يرفع زميله المصاب فى الحرب ومضى بها إلى هيكل السرير الخشبى الذى صنعه بنفسه منذ وقت لا يدريه، استيقظت وألقت بذراعيها فوق كتفه وهى ترتعش وتقول : «يجب أن تكون قوياً من أجلنا .. أنت رجل، يجب أن تكون قوياً» ثم عادت للنوم .

حدق تانيا فى ظلام الكوخ دون أن يرى شيئاً فعاود التحديق فى ظلام روحه حيث أبصر قليلاً من الضوء يعلن عن بزوغ الفجر .

كانت أحداث اليوم والساعات القليلة الماضية التى أحسها ساعات طويلة قد بدأت تعكر مزاجه وبدأت تتلألأ معها خبراته التى تحتاج لمزيد من التركيز .. يجب على المرء أن ينتظر وعليه أن يعد أصابعه مرة تلو الأخرى حتى تشرق الشمس .

كان الكوخ هادئاً وكم كان غريباً ذلك الهدوء الذى تذكر من خلاله ضوضاء الحياة فى ظلام القرية حيث كان الأولاد

والبنات يلعبون (الاستغماية) و(الضبع والأسد) تحت ضوء الأعشاب المشتعلة، فهل كانت الضوضاء في كل مكان أم أنه هدوء الكوخ الذى ساعده على سماعها أكثر ؟!

تمطى تانيا قليلاً فلاحظ أن عضلاته ما تزال قوية رغم السير الطويل ولم يعد يشعر بالإجهاد.. كانت أوامر عَّراف القرية ألا يزعج أحد والده المريض الراقد في الناحية الغربية من الكوخ لكنه شعر فجأة بضرورة رؤية أبيه أو حتى مجرد النظر إليه من بعيد، حاول أن يستعيد صورته في رأسه. وكانت دهشته كبيرة حين لم يستطع، فحاول أن يغلق عينيه ويستعيد ملامحه لكنه فشل مرة ثانية، فبادر بالتوجه إلى واجهة الكوخ ببطء عبر الشجيرة المزروعة في كوخ أبيه وأزاح باب الكوخ المصنوع من ألواح الخشب، فسمع أنفاس أبيه الضعيفة ثم أشعل عوداً من الثقاب وأحاطه بكفيه. كانوا يغطون الرجل المريض بجلد الماعز وكان وجهه عارياً وكذا قدميه.. اقترب أكثر فأبصر فم أبيه مفتوحاً عن آخره وشعره البني كحبات الخرز مثل: (الهوتينتوت) Hottentot * وشيء ما في هيئة الرجل العاجز جعلت تانيا يشعر بالغثيان والازدراء والكراهية والشفقة، شيء ما ليس كعجز ماما تانيا .

كان عجز الرجل العجوز مختلفاً.. أطال تانيا النظر إليه فكان شبيهاً بالموتى حيث فقد وجهه القوى والقبيح بريقه وعنفه وكان جلده مهلهلاً بطريقة تعافها النفس وندبة كريهة فوق خده الأيسر تشبه المغارة وكانت عيونه غارقة، تلك العيون

التى كانت ذات يوم حمراء مشرقة من الغضب أو الشراب ومشغولة على الدوام بالبحث عن شخص ما تتصارع معه أصبحت الآن غارقة وكأنها تخفى نفسها من الفضيحة .

تحرر تانيا من المرارة التى كانت تعتريه ونظر بارتياب إلى ذلك الشبح المنكسر وتمنى لو تعود أمه من موتها لحظة قصيرة لتكون شاهدة على ما يرى وعاودته ذكرى وقوع أمه على الأرض منذ زمن بعيد، حين تفجر الدم من فمها على إثر الضربات القوية لأبيه المخمور وهى تقول له مستسلمة لموتها الفظيع الموشك بأن قوته لابد ستنتهى يوماً ما، تذكر ذلك اليوم جيداً رغم بعد المسافة الزمنية كما تذكر يوم أن فاضت روحه بالظلام وأمسك قبضته بإحكام وقال لنفسه بغضب أنه فى يوم ما سيقتل والده .

ها هو أبوه يرقد بلا حول ولا قوة وتمنى مرة أخرى لو أن أمه مازالت تعيش لترى ولو للحظة قصيرة ما صار إليه الرجل الذى ظلت تخدمه بإخلاص ثم قتلها .

كان تانيا واقفاً يفكر ويتذكر، فتحرك والده كالماء الذى يشق الأرض ببطء وكانت حركة يائسة من رجل وجد نفسه فجأة وحيداً فى الصحراء، حاول العجوز بيأس وضعف أن يستدير فى نومه وفكر تانيا فى مساعدته ومد يديه حتى لامسه لكنه لم يستطع، شىء ما كان يعوقه عن المساعدة، ربما كانت تلك المرارة أو ذلك الانتقام الذى يملأ قلبه وربما . . لم يكن يعرف شيئاً سوى أنه لم يستطع أن يمد يديه لمساعدة أبيه وأنه

كان يرتعش كما أن الدموع تدفقت فوق وجهه ..كان يرتعش ولم يقدر على الحركة وأخيراً اضطرب فجأة دون سبب محدد وكأنه يمشي مسرعاً في حلم مزعج، اندفع مسرعاً نحو الخارج بلا وعي فاصطدمت رأسه بقوة في سقف الكوخ المنخفض.. كان القمر خجولاً وبدا متلألئاً رغماً عنه حتى لم تستطع أشعته أن تضيء تلال كاشا وانجا الغربية .

كان الأطفال مشغولين بألعابهم. وكان الأزواج والأولاد والبنات يتصارعون هنا وهناك.. دائماً كانوا يتصارعون، كان الوقت متأخراً وتساءل ثانيا بينه وبين نفسه: «هل سيمضون الليل بكامله هكذا خوفاً من النوم المجهول؟»، تذكر أن غداً هو الأسبوع الثاني من الشهر التاسع وأنه بداية موسم الحصاد حيث يظلون ساهرين للاحتفال بموسم الحصاد كما يحدث كل عام.. إنهم يعملون حتى الموت في الزرع من أجل ليلة واحدة فقط وحصاد واحد يتقدمون فيها بالشكر لكل الأرواح التي تحتكر كل شيء وتقف إلى جانب الشر .

لم يستطع أن ينام فثمة شيء يجب أن يراه بوضوح وهو يقظ..

يجب أن يشغل نفسه بشدة تجنباً لما يمور بداخله .

(٣)

تذكر تانيا صديق طفولته الذى عاد إلى القرية واستقر بها ممثلاً لأولئك الرجال ذوى الملابس الأنيقة الذين يعمل عندهم الخدم وفكر فى زيارته لقضاء المساء حتى يصيبه التعب خاصة وأنه يعيش قريباً عبر الوادى .

كان جيمس يذهب إلى المدرسة فى المدن البعيدة فأصبح رجلاً متعلماً ، ظل تانيا يتذكر أيامه معه المليئة بالاكتشاف واللحظات الشقية فأبصر الابتسامة التى كانت ترتسم فوق وجهه وذلك التألق الشيطانى فى عيونه الأفريقية الكبيرة والتى كانت تختزن كثيراً من المعرفة .

طرق تانيا الباب ثلاث مرات لكن ضوضاء كثيرة كانت بالداخل جعلت من العسير على أحد أن يسمع الطرقات . . توقف لسماع ما يحدث فكان جيمس يتنافش بطريقة رسمية عن خطة رد الاعتبارات والحقوق الجديدة ، وبالنظر من خلال شق فى الباب شاهد جيمس جالساً إلى طاولة كتابته الناعمة يقلب فى ملفات رسائله الرسمية ، وأبصر نفس الطوابع التى كان يراها عند مستخدمه الأخير . . كان جيمس فى وضع بين

الجالس والواقف وكأنه يخشى أن تتجعد بدلته الغالية، وكان الفلاحون الكبار يحيطونه وهم راكعون إلى جواره نصف عرايا متطلعين بشغف إلى فرصتهم فى الكلام .

لم يستطع تانيا أن يرى ويسمع فى وقت واحد وكان عليه أن يصيغ السمع أو يضع عينيه أمام شق الباب تماماً، شعر بجمود الحجرة فقد نفذ صبر الفلاحين خاصة ذلك العجوز الذى يرتدى معطفاً من مخلفات الجيش يبدو أقدم منه وكان العجوز جالساً القرفصاء فوق الأرضية الأسمنتية الباردة يرسم بأصابعه فوق الأرض ليشغل نفسه بعض الشىء من أجل أن يجد لما يدور فى ذهنه سبيلاً بطريقة يتجنب بها فقدان أعصابه حتى لا يصبح مثل ذلك الذى فقد أعصابه مع جيمس ومع الحكومة والذى أرسلوه بعيداً عن القرية تماماً .

وضع عينه فى شق الباب فأبصره حين كان ولداً صغيراً وبديناً ذا عينين كعين الفيل المختبئة وله خدان كالأنثى وهو يلعب فى الطين بمفرده لأن بقية الأولاد كانوا يحتقرونه، نعم.. هكذا أبصره تانيا وقد كبر الآن فجأة ويرتدى بدلة من الصوف الإسكتلندى ويجلس بصفة رسمية فوق مكتبه المليء بالطوابع الحكومية ويقول لأولئك القرويين الجهلاء كيف يحسنون من أحوالهم .

كان الفلاح العجوز يبصق فوق الأرض مرة تلو الأخرى رغم نظرات جيمس المعارضة وأوشك صبره على النفاد، وكان الكوخ الكبير مليئاً بالأحداث حتى صار صغيراً، وبدا أن

جيمس مستعد جداً أو سعيد جداً لما يحدث ثم فجأة هز العجوز إصبعه بغضب مشيراً إلى جيمس واهتز جسده داخل معطفه العسكرى الكبير مثل الثعبان، وكانت شفتاه المرتجفتان تتوقفان كلما شرع فى الحديث وكأن شيئاً ما كان مختنقاً فى حلقه ثم كالثعبان سارع بالبصق على الأرض وكأنه قام بتسليك حلقه وتوسل إلى جدته مرتين فتدفقت الكلمات من فمه بسرعة وصوت عال: «أنا لا أفهمك ولا أفهم جنسك ولا حتى ما يحدث لبلدك.. نحن لا نفهم الرجل الأبيض فهو من قبيلة أخرى أما أنت ...!!»

كانت الكلمات غامضة وعندئذ أشار إليه بحماس أقل واستطرد: «أنت ولدت هنا ورضعت من لبننا واليوم تخبرنا بوجوب رحيل القرويين عن هذه الأرض التى منحها لنا آباؤنا .. هذه الأرض!!»

تحسس الأرض الأسمنتية بسرعة وأضاف: «هذه الأرض حيث أمنا وأمهاتكم وحيث أطفالنا، لا ... إن الرجل الذى لايعرف قبر أبيه كى يبكى عليه ليس برجل على الإطلاق، قل لحكومتك أننا سنموت هنا وعليهم أن يجدوا مكاناً آخر يزرعون فيه القطن».

وقف بقية الرجال الكبار ورفع العجوز رأسه بيأس وفتور ثم فتح الباب واندفع إلى الخارج حيث تبعه بقية الفلاحين برءوس منحنية وراحوا يتطلعون إلى بعضهم البعض فعرفوا ما يربطهم ثم اختفوا فى الظلام الذى اختفى فيه آباؤهم من قبلهم .

كان جيمس لايزال جالساً إلى طاولته الفخمة يكتب ملاحظاته وتقريراته إلى الحكومة دون أدنى اهتمام بحضور أو ذهاب الرجال الكبار، تفحص تانيا ملامحه وهيئته فكان كبيراً قبيح الشكل ذا بطن مستديرة وعضلات يزينها اللحم مثلما يزينون أنفسهم بعرباتهم الرشيقة وخدمهم، كما استطاع تانيا أن يلاحظ تلك الندبة تحت عين جيمس التى خلفها له حين كان ولداً صغيراً عارياً يلعب فى الطين.

تردد تانيا في الدخول وفكر أن يعود للبيت، لكنهما كانا صديقين فى الصغر يلعبان ويبكيان ويتصارعان معاً.. نعم، لكن ذلك أيضاً كان منذ زمن بعيد لم يكن فيه جيمس موظفاً حكومياً يرتدى تلك الملابس الثمينة.

قرر الدخول فطرق الباب مرتين ودون أن يرفع جيمس رأسه أجاب: «ابتعد عن هنا فأنا الآن أكتب للحكومة وسترى كم هى قوية»

تنحنح تانيا فرفع جيمس عينيه وسارع بالعودة إلى ملفاته لكنه أدرك بسرعة أن الطارق فلاح مختلف، إنه زميل اللعب القديم.. مد ذراعيه بدون إحساس وقد كان رجلاً فارع الطول فبدا وكأنه ينظر إلى تانيا من أعلى أو كأنه يسلم على مريض فوق السرير ولم يكن ذلك ما توقعه تانيا الذى لم يكن يعرف توقعاته تماماً، لم يكن تانيا يتوقع عناقاً لكنه لم يتوقع أيضاً ترحيب جيمس الفاتر حين قال: «هاللو تانيا .. بعد كل تلك السنوات» .

ظل عقل تانيا يدور بسرعة كبيرة وكانت الصور تملأ الحائط وكثير من الدبابيس فوق خريطة القرية كما أن الحجرة لم تكن فخمة تماماً . وأصابت تانيا الدهشة من تلك الكتب الكثيرة المغطاة بالتراب وقد نالت الحشرات من بعضها .. نظر تانيا إلى جيمس مرة أخرى ، فابتسم جيمس ابتسامة مزيفة جعلت الندبة فوق وجهه تشبه الثقب .

قال : «إجلس .. كيف حالك»

لم يعرف تانيا بأى شيء يجيبه ثم تذكر مرة ثانية أولئك الأولاد الصغار وهم يلعبون فى الطين وعاوده صدى صوت جيمس : «اجلس .. اجلس .. اجلس» وكأنه صوت ضوضاء عبر وادى «واشيتا» ثم أحس بالظلم ، نعم هو لم يتوقع عناقاً لكنهما كانا رفيقين مدة طويلة فى الماضى ولم يكن الأمر كما هو عليه الآن .

لم يهز جيمس يده الناعمة واللزجة كثدى امرأة قذرة فشعر تانيا بعدم وجود أية صلة بين ذلك الموظف الحكومى بأوراقه الرسمية وبين الولد الذى كان يلعب معه حتى إنه لا يستطيع الآن أن يسأله اللعب معه عارياً فى المطر .. ارتبك تانيا بشدة فعقد يديه وجلس يتمتم وكأنه يريد أن يقدم نفسه شارحاً بأنه لم يمت بعد .

تبادلا قليلاً من المزاح مثلما كانا يفعلان طوال سنوات عشر مضت ، وظلا يتحدثان بصوت هادىء وقد فشلا فى إخفاء حقيقة أن أحدهما يتحدث كموظف حكومى وأن الآخر عاطل

آخر فى القرية .

كان جيمس يقرأ الجريدة ويفكر فى أهل القرية الذين يتحدثون دائماً عن الفشل وسوء الحظ والموت ، وتذكر آخر فلاح جاء إليه متوسلاً من أجل إطعام أطفاله الجوعى فطرده لأنه كسول ، ولم يكن يتحدث إلا عن الموت ، وقد وجده جيمس فى اليوم التالى معلقاً فى الشجرة الكبيرة أمام منزله ، كان يحدق فى جيمس وهو ميت .

نظر الرجلان إلى بعضهما البعض ثم تصافحا مرة أخرى بود كما كانا يفعلان فى الماضى فسارع تانيا بالحديث متطلعاً إلى صديقه : «إننى فى حاجة لصديق يا جيمس فبعض أصدقائى ماتوا والبعض الآخر يعملون خدماً فى أماكن بعيدة ، إننى أتوق لصديق مثلما أمسكت بيدك وعدت بك إلى المنزل وأنت خائف فى الظلام ، لقد مررت بأحداث كثيرة ، وكثيراً ما أشعر بدوار فى قلبى ، أحتاج لشخص ما يقف بجانبى فأبى يموت وأنت تعرف بأننى لا أحبه لكنه أبى وهو يموت ولم يعد قوياً ولا يقدر الآن على ضربى ، إنه يرقد فوق السرير ينظر ولا يرى ويحرك شفتيه دون أن يتكلم ، أحتاج لشخص ما يقف إلى جوار قبره فأرجوك ساعدنى .»

اطمأن جيمس لأن تانيا لم يكن عازماً على الانتحار وإنما كان الموضوع خاصاً بأبيه الفقير الذى يوشك على الموت .

قال جيمس : «سأقف إلى جوارك بالتأكيد فى أى شىء يا «بارانيا» هكذا ناداه بلقب الطفولة ثم استطرد : «أى شىء

وآسف لأنك عانيت كثيراً لكننا جميعاً نعاني.. أليس كذلك؟
... دائماً يموت شخص ما ودائماً الخوف من الموت، إن أمي أيضاً توشك على الموت ونحن ندفن عقولنا في الوظيفة لكننا نواجه الموت في كل لحظة فلا يجب أن تخاف، هانحن ندفن خوفنا في هذه الملفات»

ألقى بالملفات فوق الأرض وأضاف: «وحتى في هذه البيوت الكبيرة حيث الشراب والصراخ في الخدم فإننا أيضاً نخشى الموت حين يسود الظلام ونصبح منفردين ونشعر بالخوف كما حدث في ذلك اليوم وأنت تمسك بيدى يا «بارانيا»

هز جيمس «بارانيا» بيده وعانقه عند كتفه وكانت يده هذه المرة ناعمة ولكنها ليست لزجة، لقد تحول موظف الحكومة فجأة إلى رجل ووقف كلاهما في مواجهة الآخر وتصافحا بحرارة.. تصافح موظف الحكومة مع الفلاح المنكسر.

شعر تانيا باضطراب في معدته وأصابه الغثيان فابتعد بذراعه عن جيمس وبدا أن المرض سيصيبه فوق الأرضية الأسمنتية فقال: «يجب أن أذهب الآن .. يجب أن أمضي» ثم سارع بالخروج.

لحق به جيمس في الظلام قائلاً: «سأسير معك حتى البيت» فقد تانيا إحساسه بالمرض ولم يكن يعرف ماحدث في معدته، ربما كانت تلك الصورة فوق الحائط أم أنها طوابع الحكومة المهترئة أم هو ذلك التحول الكبير والسريع الذى طرأ على موظف الحكومة، لم يكن تانيا يعرف سوى أن معدته توقفت

الآن عن الألم .

سارا معاً بهدوء دون أن يتبادلا كلمة واحدة وكان الفرق كبيراً بين هذا المشى وذلك الذى كان منذ زمن بعيد حيث كانا يضحكان خوفاً من المجهول فى الظلام وخشية أن ينفصل كلاهما عن الآخر .

كان كلاهما يفسر بخبرته ذلك الفرق الكبير الذى حدث ثم أبصر تانيا حافة الصبار التى تحدد شجرة الموز الخاصة بأبيه فقال : «إلى اللقاء بارانيا».

وقال جيمس : «إلى اللقاء بارانيا»

وانفصل كل منهما فى طريق .

(٤)

كانت الشمس فى الصباح تخترق سقف الكوخ المصنوع من القش، استيقظ تانيا وتمدد بجسده قليلاً وقد شعر بالوهن، كان العشب فوق سريره قد تلاشى تقريباً فأصابته خشونة السرير الخشبى بالأرق.. لابد أن أمه قد بلغت من الكبر ما جعلها تنسى أن تضع عشباً جديداً فى سريره كما كانت تفعل دائماً عند عودته .

نظر إلى المدفأة المكونة من أحجار ثلاثة وابتسم حين رؤيته لذلك الإناء القذر، كانوا يعدون عصيدة الموز للإفطار فتذكر أمه حين كانت تصنع نفس الوجبة دائماً وكان يقول لها برقة وحب: «الحياة القديمة الفقيرة.. الحياة القديمة الفقيرة والجميلة»، كانت تتلمس طريقها فى ظلام الفجر كى تصنع إفطار الأطفال المكون دائماً من الموز الأخضر وزيت الفول السودانى والماء الذى لا تملك سواه .

استيقظ تانيا ونظر بحذر فى اتجاه باب الكوخ الصغير فأبصر أمه تجلس فوق الأرض مقيدة القدمين ترتدى قطعة من القماش القطنى الذى لا تملك شيئاً غيره وتلفه فى حجرها،

كانت تتثاءب بسأم ونفاد صبر في الشمس الفاترة التي لم تنعم بها أبداً وراح تانيا يتطلع إلى جسدها النحيل وهي تنحني وتطرقع القمل بين أظافرها القذرة وقال: «إلهي .. إلهي» ثم وقف إلى جوارها وهمس: «صباح الخير يا أمي»

مسحت الدم بسرعة من فوق أظافرها وحاولت أن تغطي صدرها ثم قالت بخجل طفولي: «صباح الخير».. كانت دائماً قليلة الكلام وهي التي قالت ذات مرة بأن على المرء أن يعاني في هدوء.

سألت تانيا : هل تناولت إفطارك؟

أجاب : لا .

شعرت بالأسى وقالت : لقد ادخرت لك لبن الماعز طوال الأيام الثلاثة الماضية.

أجاب ببطء ودون شعور بالفخر : شكراً يا أمي .

عاودت طرقعة النمل وساد صمت غريب راح تانيا من خلاله يتفحصها، فأفزعه شكلها القبيح وجلدها القديم الذي يكسو عظامها وعيناها اللتان فقدتا إشراقهما ورأسها الخالية من الشعر الذي كانت تقصه دائماً حداداً على أقربائها الموتى والذي قالت أونيا ذات مرة وهي تسخر منها بأنها تفعل ذلك للحصول على مزيد من الشمس لكنها لم تفهم أن أونيا تضحك معها لأنها لم تكن تعرف الضحك والدفء العائلي أبداً .. ركع تانيا بجوارها وراح يساعدها في تعقب القمل الهارب وقد جعلته يفقد صوابه حين أبصر يديها ترتعشان وهي

تتبع القملة التى اختفت فى جرحها القذر. . فكر تانيا أن يغسل لها ذلك القماش القطنى الذى ترتديه لكنه تذكر بأنها لا تملك شيئاً آخر ترتديه .

قالت : كان ينبغي أن ترى والدك بالأمس .

لقد فعلت لكنه كان نائماً .

نعم . . وقد قال أنك كنت تدخل وتخرج مثل شخص يدخل ويخرج من دورة المياه .

كرر تانيا : كان نائماً .

إنه لم يكن طيباً معك أو معى وحتى مع نفسه فلقد أطبقت عليه روح غريبة ، وكنت أراه يبكى حين يكون مخموراً فى محاولة يائسة منه للقضاء على ذلك الثقل الغريب فى روحه ، لقد كان طفلاً حزيناً سيىء الحظ وعندما كان يشرب كانت تطبق عليه تلك الروح الغريبة فيصبح قاسياً مثلما فعل فى ذلك اليوم الذى قتل فيه أمك .

أغلق تانيا عينيه لذلك المشهد الرهيب الذى امتثل أمامه مرة أخرى ثم استطردت : قال لى والعرق يغطى حواجبه بأن شيئاً بشعاً كان يثقل صدره فى الليلة الفائقة لدرجة يصعب معها التنفس .

وضعت أصابعها النحيلة فوق فخذ تانيا القوى وهمست إليه بهمسات ملؤها الألم وكأنها تقول سراً نهائياً عن حياتها : «ابنى . . حين تصبح كبيراً فى مثل عمرى . . . . . »

بصقت وتوسلت إلى السماء المشرقة وأضافت : «سوف

تفهم وتتعلم الغفران وستتناول الحياة بجدية أقل، فوالدك هو ابني وكم حملته هنا (تشير إلى رحمها السقيم) في أوقات عصيبة لمدة تسعة أشهر ثم أنجبته في وقت المجاعة وقد جاهدت في الذهاب إلى الكهوف هناك (أشارت إلى تلال كاشا وانجا البعيدة) لأبحث عن العسل من أجله، وقد كنت أخفي العسل عن أبيه النهم فإنكم معشر الرجال تصبحون نهمين عندما تجوعون (استدعت اسم جدها قائلة: سابولاى) الذى لم يكن يعرفه أحد ثم أضافت: لقد لسعني النحل كثيراً حتى تصورت أنني سأموت وكان جدك يبتسم من غبائي.. كبر أبوك بعد ذلك وكنت أطعمه جيداً كما أنني كنت بأسنان بيضاء قوية، كنت أطعمه من فمه حتى صار يمشي على أربع وكمات تعرف فإنه كان ابني الوحيد ولقد صار ولداً بديناً لكنه كان ناعماً كالبنت وأتذكر الآن قول أبيه: «لن يصبح رجلاً لأنه بدين» ثم مات أبوه وتركني له وعند القبر بكيت دموعاً من عيني فقط، أصبح أبوك شاباً ورحت أبحث له عن فتاة في القرية كلها فالتقيت بأمك.

استطردت والدموع تبلل عينيها: كانت صبية جميلة تتمتع بالصحة والعافية والسعادة وتزوجها أبوك وأنجبك أنت وأخوتك ثم .. ثم .. هو .. (بكت بدون دموع ووضعت وجهها في الأرض كمن تخفي نفسها من الشمس الدافئة).

اقترب تانيا محاولاً أن يمسكها كما حاول في الليلة الماضية لكنها دفعته بعيداً وقالت: «لا .. يجب أن نعاني بمفردنا،

اذهب الآن لرؤية أبيك فإذا تخليت عنه الآن فإنك أيضاً ستموت في الحقل وحيداً وفمك مفتوح في الشمس، اذهب لرؤيته فالإنسان يحتاج في لحظات الموت إلى شخص ما يمسك بيده، اذهب لمشاهدته فلقد غادرته الروح وعليك برؤية ما تبقى منه، هيا اغرب عن سمائي!»

شعر تانيا بألم في معدته مع أنه لم يتناول إفطاره بعد فقد كان دائماً يشعر بالمرض ويصيبه الدوار في مثل هذه اللحظات التي توقظ روحه أصبحت الأمور أكثر وضوحاً بالنسبة له فأغلق عينيه تجنباً للشمس المشرقة .

كان تانيا ابن «رواتا بندرا» الواقف على حافة الهاوية وفي طريقه للسقوط لكن جدته التي يدعونها بماما ما تزال حية وكذا أختيه .

استطاع تانيا أن يبصر تحديق الرجل العجوز إلى الذباب فجلس تحت ظل الكوخ متصبباً بالعرق، إنه «تانيا رواتا» فيجب إذن أن يراه.. تحرك إلى داخل الكوخ دون أن يفتح عينيه إلى حيث يرقد أبوه فكان من اليسير رؤية العرق المتصبب فوق وجهه والذي يوحي بمعاناته الداخلية، جلس تانيا بجوار السرير الموشك أيضاً على السقوط، فانتبه أبوه واستدار بألم حتى أصبح في مواجهة ابنه وحاول أن يتمعن النظر فيه لكن كلاهما ظل مندهشاً أثناء تبادل النظرات التي بدت مشرقة كنظرات الموتى المعتادة.. ارتبك كلاهما وشعر بالذنب، أغلق العجوز عينيه ومد ذراعه التي تشابكت مع ذراع تانيا كالسلسلة في

الظلام، كـان العجوز هو الذى مد ذراعه أولاً وهو موشك على الموت وكانت شفاهه الجافة تتحرك فقط دون أن يتكلم فلقد فشلت كل محاولاته فى الكلام ولم تثمر عن شىء سوى مزيد من العرق فوق وجهه.. إقترب تانيا من والده أكثر ولم يستطع أن يسمع سوى تهتهات العجوز وهو يناجى مكرراً: «ابنى .. ابنى.. ابنى..».

تبللت أياديهما بالعرق وفتح العجوز عينيه ناظراً إلى ابنه مثل قطة جائعة ثم سحب يده واستدار ببطء نحو الحائط بينما قال تانيا متلعثماً : «أبى .. أبى»

كان العجوز قد عاد إلى نومه .

أبصر تانيا جدته وهى تنسحب من مدخل الكوخ ببطء ويدها فوق فمها.. كانت تراقبهما بعينيها الضعيفتين، توقف تانيا وألقى نظرة أخيرة إلى أبيه النائم ثم خرج يتجول حول الكوخ بلا هدف وبعد لحظة سار فى شمس الظهيرة التى تخطف البصر وقشعريرة روحه وكان سيره هذه المرة فى خط مستقيم حتى إنه لم يستمع إلى صوت جدته الضعيف وهى تزعق: «إلى أين أنت ذاهب؟»، كانت تتبعه بانحناء مقاومة ضعفها حتى سقطت فوق التراب دون أن يشعر بها تانيا الذى كان يواصل سيره بلا هدف مكرراً لنفسه بصوت عال ماقاله والده : ابنى .. ابنى .. ابنى..».

كـانت تلك هى كل مـا استطاع والد تانيـا أن يقـول من كلمات عندما التقيا بمفردهما وتبادلا التحية والعرق رغم كثرة

ما كان يوجد للقول وكثرة ما كان يمن اكتشافه وإدراكه.

اكتشف تانيا أنه يقف تحت شجرة الباوباب الكبيرة التى عرفها صغيراً وقالوا له بأنهم يحددون قبر جده بأحد أغصانها ولم يكن يدرى كيف ولماذا جاء إلى هنا لكنه تذكر نفسه حين اختبأ عندها وهو ولد صغير حين ماتت أمينة وتذكر أيضاً أن ذلك المكان عند الشجرة أصبح مكانا مقدساً منذ اللحظة التى دفنوا فيها جده كما قالت له أمه .

جلس تحت الشجرة واضعاً رأسه بين فخذيه وإحدى يديه تغطى عينيه واليد الأخرى تمتد وكأنها تستقبل شيئاً وكان صدى الصوت الضعيف داخل نفسه يقول : لقد قبلت لعنتى وتجولت عبر العالم كالنعامة العرجاء التى تلتقط البذور من أرض جافة وكانت البذور التى التقطتها ذات نواة مُرَّة المذاق وها أنذا اليوم أتوق لمعرفة السبب وراء قصورى والسبب فى جفاف أرضى ، لقد ضربونى ولم أشكو وأسأل الله أن يمسح دموعى وأريد أن أعرف خطيئتى .

هكذا كان يتوسل بصوت عال ثم رفع رأسه فجأة إلى السماء مثلما تفعل النعامة عند إصابتها بالفزع وظل محدقاً فى السماء متمنياً أن تتصدع كما تصدعت من أجل المسيح ، نظر إلى قاعدة شجرة الباوباب لكن آحداً من أجداده لم يظهر وإنما ساد صمت ساخر وحرارة شديدة وبالكاد تتحرك إحدى أوراق الشجرة .

تطلع تانيا إلى نفسه مراراً فى حر الظهيرة الشديد وقلة

الهواء ثم أبصر الماشية المثقلة بقرونها الطويلة وهى تستريح تحت ظلال الأشجار المتعددة الألوان، وبعض الأولاد الصغار الذين تلفحهم الشمس وهم ينامون إلى جوار الماشية جائعين.. كان أحد الأولاد يرتدى قطعة من قماش البفتة حول خصره ملطخة ببقعة بيضاء حديثة فتذكر أيام أن كان مثل أولئك الأولاد وكم كان وقتها جائعاً وعاوده ذلك السرور الكبير الذى كان ينتابه حين كانت أمه تبيع كثيراً من الموز وتشترى له بشلنين قطعة من القماش القطنى الأبيض .

بدأ فى نزول التل متجهاً نحو البيت وكانت رؤية الماشية المثقلة بقرونها مازالت تلاحقه، جلس عند ركن الغابة حيث التقى صديقه القديم «موجيا مابيبا» بصحبة امرأة ترتدى قبعة من القش وحذاء ثاقباً لابد أنه من خارج كاشا وانجا وكان موجيا يرتدى طربوشاً ممزقاً وقميصاً مليئاً بالثقوب ولا يرتدى حذاء ويبدو فى انحنائه كالبطة الكبيرة ويوحى مظهره بحياة طائشة فوجهه مليء بالندوب ومشيته عرجاء كما أن أغطية ركبته مليئة أيضاً بالثقوب ربما من كثرة الركوع والصلاة والتوسل .

أصابت موجيا الدهشة لرؤية تانيا فتمتم بكلمات قليلة ثم توقف على إثر ضحكة طفولية من رفيقته فبدا تابعاً هزلياً وقال ببهجة : تصورت أنك ميت يا رجل !

تبادلا الضحكات وهما يتصافحان ثم قال تانيا بدون تفكير : كنت سأخبرك .

ضحك موجيا أكثر وهو يهتز فظهرت أسنانه البيضاء ثم

توقف فجأة ونظر إلى المرأة وقال : إنها امرأتى لهذه الليلة وأنا لا أعرف حتى اسمها .

قال ذلك وانفجر ضاحكاً مرة أخرى .

تفحص تانيا المرأة جيداً حتى التقت الأعين وبدا أن ثمة أشياء كانت توحى بالرغبة والإشتهاء، كانت عيناها بنيتين كبيرتين كأنهما تتوسلان طلباً للراحة، ابتسم لها وانحنى برأسه حتى لا يصافح ذراعها القذرة، كان ثديها كبيراً جداً وفكها السفلى بارزاً وقدماها نحيلتين لايكسوهما اللحم مما جعل الحذاء يبدو كبيراً .

توقف موجيا عن الضحك ومسح دموعه بظهر يده الملىء بالندوب ثم نظر هو والمرأة إلى تانيا وسألاه : ماذا حدث ؟

- لا شىء .. لا شىء على الاطلاق .

- إذن دعنا نذهب مع امرأتى فهى تؤجر بيتاً بجوار شجرة آبائك المقدسة، تلمس موجيا جيوبه البارزة وأخرج عشر شلنات ثم أضاف : أملك بعض المال الكافى لطعامنا وشرابنا الليلة كما أن امرأتى ستحضر لك امرأة .. أليس كذلك يا امرأتى ؟!

لم يسمعها موجيا وهى تقول نعم بصوت خفيض فقد كان مشغولاً بالضحك مرة أخرى ثم قال وهو يربت فوق كتف تانيا : لدينا اليوم وقت يا رجل وأنت تستحقه.

توقف موجيا فجأة وتنفس هواء حزيناً وتطلع إلى تانيا فى عينيه ثم وضع ذراعه فوق كتفه وقال : ماذا حدث بالضبط يا

صديقى، هل مات أحد ؟

طلب من المرأة أن تتركهما لحظة .

قال تانيا : لا . . لا . . دعها يا موجيا فلا شيء يفيد كما أن أحداً لم يمت فى عائلتنا منذ زمن بعيد .

لف موجيا إحدى ذراعيه حول خصر امرأته النحيل وذراعه الأخرى حول خصر تانيا وبدأوا يتحركون .

كانت ماريا تؤجر البيت الذى كان محلاً للبيرة ثم حولته ببراعتها إلى استخدامات أكثر جاذبية وكان بيتاً واسع الشرفات فى النهاية الغربية لكاشا وانجا ويخفى نفسه تحت شجرة على بعد خطوات قليلة من الطريق الرملى حيث يمارسون كل الأشياء التى لا ينبغى أن يفعلوها، كان السقف من الحديد المتجعد بدلاً من الأعشاب والأرضية من الأسمنت وكانت الحجرات فارغة إلا من بعض المقاعد القليلة وفى المنتصف كان باستطاعة المرء أن يتكيء للشراب أثناء المداولة .

كان الحاضرون يتحدثون بهدوء أو يحدقون فى الأرض وعندما دخل الثلاثة ساد الصمت ورفعوا أعينهم إلى ماريا التى بدت كأنها طير يعود إلى عشه محملاً بالطعام فى منقاره، بادلتهم التحية وأغدقت عليهم بابتسامتها المزيفة، بينما وقف تانيا بجوار الباب واضعاً إحدى يديه فوق وجهه تجنباً لشمس الظهيرة وراح يحدق بغير حماس إلى رجال ماريا المختلفين فتوقف أمام ذلك العجوز الجالس عند الركن بقدميه المعروقتين ولاحظ أن إحدى قدميه بثلاثة أصابع فقط، كانت تجلس فتاة

جميلة فى حوالى السادسة عشر فوق حجر العجوز ذى الرأس الصلعاء المليئة بالخدوش وعندما لاحظ موجيا أن تانيا مهتم بالعجوز اقترب من أذنيه كاتماً ضحكاته وراح يهمس له عن الرجل الذى لا يعرفه أحد : تقول الإشاعات أنه كان إبناً لأحد زعماء قرية بعيدة فى الجنوب وأنه كان ميسوراً فى المال والأبناء والإمكانات التى تجعل منه زعيماً ، ثم التحق أخوه الكبير بوظيفة حكومية وبدأ حملة ضد وجود الزعماء وعندما سمع أبوه العجوز عرف أن قوته تنهار على يد أحد أبنائه ، فأصابتهم اللعنة وبدأت الماشية تموت حتى أصبح غارقاً فى الشراب الذى كان يصنعه من الذرة ويشربه فى البيت عندما سئم بكاء زوجته تحت قدميه وذهول أبنائه . راح يشرب فى الحانات بعد أن يبيع جزءاً من أرضه ، عاد ذات يوم إلى البيت فوجده محترقاً بكل أولاده وشاهد زوجته ترقص بجنون وهى تتألم فنظر إليها واتجه نحو الشمال بينما كانت هى ترقص فى اتجاه الجنوب حتى وصل إلى هذا البيت الغامض حيث احتوته ماريا بقلبها الطيب كجد للجميع وفى يوم ما شاهد تلك الفتاة وتعاطف كلاهما مع الآخر فقد رأى فيها ابنته التى عوضته قليلاً عن اللعنة التى أصابته كما وجدت هى فيه الحماية من أهوائها وأهواء الرجال حتى أنه كان يرتق ملابسها ويزيل البراغيث من قدميها الجميلتين رغم أن كليهما لم يكن يعرف اسم الآخر وكانا يتبادلان الحديث بصعوبة فيما عدا أسئلة من نوع : «حبيبتى ، هل أنت جائعة ؟» أو : «هل أقدم لك بعض البيرة ؟» وكانت

الإجابة ثابتة لا تتغير : «لا يا أبى»

هز تانيا رأسه تعاطفاً مع هذه الحكاية الحزينة فقال موجيا : هناك إشاعة أخرى تحكى عن أن هذا العجوز كان (دون چوان) فقد كان يقوم بدور الرسول والمساعد فى كل الوظائف التى تتطلب النشاط وخفة الحركة مثل ربط عناقيد الذرة فى الأشجار أو مساعدة الماشية المريضة وهكذا اقترب من قلوب النساء اللاتى كن يفتحن له الباب بترحاب عندما يطرق الباب فى الموعد المحدد لكنه حين كبر أصبحت النساء تسخر منه خاصة حين وجدن من هم أصغر منه سنا واعتبرته النساء مهرجاً وكمن يقلن له فى وجهه أنه عاجز لا ينجب، فأصابه اليأس ووجد ضالته عند ماريا ولم يتبق له سوى أن يصب مشاعره فى تلك الفتاة الصغيرة وكأنها مرآة تاريخية لحياته، حاول الاستئثار الكامل بها وكان من الغريب أنها أيضاً تعلقت به كما يتعلق أبو جلمبو بمحارة ميته .

قبل أن ينتهى موجيا من سرد تلك الإشاعة إلى تانيا تدخلت ماريا وقالت وهى تشكو من حلقها : «قلت قبل ذلك بأن هذه الأشياء لن تكون أثناء النهار، لن تكون أبداً فأنتم لستم حيوانات أو كلاب ولكنكم آدميين »

ضحكوا جميعاً فظهرت لثة العجوز الأرجوانية وأسنانه البنية وتلعثم قائلاً : «إن شباب اليوم ذو دم ساخن» .

لم ينتبه أحد لما قاله العجوز فقد كان الجميع يتطلع إلى ماريا وهى تدفع امرأة أمامها قالت بأنها ستكون امرأة تانيا لهذه

الليلة، ضحكوا مرة أخرى وابتعد تانيا قليلاً ثم اقترحت ماريا طاسة لكل شخص إحتفالا بأنها مازالت تعيش .

وضعت امرأة تانيا إناء البيرة الملىء بالرغوة فوق الأرض وراحت تصب للحاضرين فى الطاسات بادئة بالكبار .

زعق موجيا قائلاً : «الموسيقى.. الموسيقى» فهبت الفتاة الصغيرة من فوق حجر العجوز وتحركت برشاقة كالقطة نحو الصندوق الأسود وقامت بتغيير الإبرة ثم نظرت إلى الحاضرين لئلا يريد أحدهم اختياراً خاصاً لكنهم كانوا مشغولين بالشراب وكانت الرغوة تنسكب فوق الأرض وهم يتحدثون بأصوات ضعيفة أو يشيرون برءوسهم بالموافقة، كان تانيا هو الوحيد الذى مايزال واقفاً عن الباب ممسكاً بطاسته ومحدقاً فى الشمس التى لا تبعد كثيراً عن بيته فى الجبال الغربية .

وقفت الفتاة الصغيرة بجوار الجرامافون وبدأت الموسيقى فتوقف الجميع عن الحديث وكانت طاسات البيرة تفرغ بسرعة مما دعا موجيا إلى أن يهمس للمرأة متوسطة العمر بأن تدور عليهم بجرعات أخرى .

كان الكبار يهزون رءوسهم بإيقاع أمريكى مكسور دون أن يفهموا شيئاً وكانت الأغنية تقول : «الجلوس .. الجلوس انتظاراً لرنين جرس التليفون طوال الليل .. أين يمكن أن تكونى يا عزيزتى، با .. با .. بو .. با .. با .. با .. بو»

أما الصغار فقد كانوا يحركون خصورهم وأكتافهم بقوة وتناسق وكان موجيا يتناول طاسة البيرة الثالثة فاضطربت

حركاته وراح يترنح بعضلاته المشدودة غير مدرك للبيرة المنسكبة فوق رباط ركبتيه وبدا على تانيا التعب وهو يبتسم .

أصبح الجميع مخمورين فيما عدا تانيا ولم تتوقف الموسيقى وحين أصبحت النغمات شاذة تدفقت الرمال من الأرضية وصار لونها ذهبياً فى الضوء القادم من الباب ومن أشعة الضوء المنبعث من ثقوب السطح المتجعد والحائط الطينى .

شاء تانيا ألا يصبح مخموراً وكان الوحيد الذى لم يفقد توازنه والوحيد الذى لاحظ أشعة الضوء الذهبية وذرات التراب القليلة التى تتساقط فى رغوة البيرة وكان العجوز يتجرع البيرة ضاحكاً باستهزاء بينما يهمس تانيا لنفسه : «من التراب وإلى التراب ، من التراب وإلى التراب» أصبحت حركات موجيا طائشة ولم يستطع أن يفتح عينيه وامتلأ وجهه بالعرق وكان يتلوى بشدة مثل النحلة ويمص قدمه العارية وهو يفتح ذراعيه بإيقاع منتظم .

كانت نهاية الأغنية تقول : «حبيبتى سو» صفق الجميع لموجيا الذى فقد توازنه وأصبح عنيفاً ، زعق موجيا وهو يرتشف جرعة أخرى من طاسته الرابعة : «الموسيقى . . الموسيقى» .

جلس تانيا فوق عتبة الباب واتكأت الفتاة الصغيرة فوق حجر العجوز وهى تمسك له بالطاسة التى لم تنته بعد ، قدمت الفتاة الشابة نفسها قائلة : «تريسا» فكان ذلك غريباً لأن أحداً لم يكن يعرف اسمها حتى العجوز الذى كان نائماً فى الركن فاتحاً فمه غير مدرك للضوضاء من حوله ، لابد أن شيئاً ما قد

أثارها في تانيا حسياً كان أم عاطفياً، ربما كان الانفعال الواضح في هدوء تانيا، ذلك الهدوء الذي يشبه البيضة حين توشك على الانشطار إلى قطع غير معروفة.. اندهشت النساء وبخاصة الصغيرات منهن لذلك الانجذاب غير المتوقع ولم تستطع تريسا إخفاء دهشتها تجاه تانيا .

وضع موجيا طاسته الفارغة فوق الأرض وصرخ مرة أخرى : (الموسيقى .. الموسيقى)، أبصر تريسا متكئة فوق حجر تانيا فغمز إلى ماريا التي كانت تفكر وهي تتجه نحو التسجيل ثم قالت : (دعهم وشأنهم فإن الظلام سيسود حالاً وهما طفلان متعبان وعليهما أن يتخيلا الراحة) .

قال موجيا ببهجة : (أوه .. إنه ماسينجوا)

كان ماسينجوا يضرب الهواء كالحصان المربوط في شجرة وطلبت ماريا الرقص مع موجيا الذي فرد ذراعيه وهز أكتافه ورأسه وكان خصره يتلوى بحماس كالنحلة، رقصت ماريا حوله بطريقة ميكانيكية في البداية ثم أغلقت عينيها وبدت بحركاتها الصافية كأنها تذوب في سائل، كانت ترقص كملكة النحل حول مليكها وهي تميل بصدرها الكبير وتمد ذراعيها وتسحبهما بايقاع منتظم دون أن تلمس مليكها لكنها كانت تحس بالموجات النابضة في الهواء، كانا كموجتين ترقصان حول بعضهما بحركات صافية وكانت كل خلية في جسديهما تنبض بالحركة وكأن ماسينجوا كان يعزف هذه المقطوعة من أجلهما أو من أجل هذه المناسبة أو اللحظة التاريخية.. كان كلاهما قد

عـانى المتـاعـب فى طفـولتـه وهكـذا توهمـا أنهـمـا يخـفـفـان عن أنفسهما . . ارتفعت إيقاعات ماسينجوا وعلا صوته الرتيب في نشـوة حـتى أصبـح الراقـصـان كـالرمح المشـدود وارتقى كل جزء من جـسديهـمـا إلى مـسـتـوى الكمـال ثـم طلب مـاسينجـوا من الجـمـيع مـزيداً من الحـركـة والانـحـدار وكـان أن فـعلوا ما أمـر بـه وربما أكثر .

كـانوا جـمـيعـاً مـسـتـنـدين إلى الحـائط والبـعض يغـمض عـينيـه وهو يهتز أو يصفق غير مدرك لانسكاب الطاسات فوق الأرض والملابس والأجسـاد العارية . . كان تانيا مايزال مستنداً إلى إطار البـاب يلـف إحـدى ذراعيـه حـول خـصـر تريـسـا ويمسك الطاسـة بالذراع الأخـرى دون أن يثـيـر انتـبـاهه شيء وكـان يتـجـول فى المكان كأنه شيطان ملعون وقد ساورته مشاعر القلق من لعنته .

فتح تانيـا فـمـه وهو يهتـز بإيقـاع مع الراقصين ويدق قـدمـيـه العـاريتين فـوق الأرض كـالآخـرين وراح يحـدق إليـهـم دون أن يراهـم لـم يلحظ ذلك الهـدوء العـجـيـب فوق وجـه مـاريا رغـم أن كل شخص في الحـجرة كان متصبباً بالعـرق والإرهاق لكن وجه مـاريا دائمـاً يبـدو مـتـفـرداً ومنعـزلاً ، مـنـعـزلاً من شـدة الألـم أو من السـرور خـاصـة حين لا تـضـحـك أو تبـتـسـم ، كـان وجـهـهـا يوحى بمعاناة كبيرة يصعب التعرف عليها أو تسجيلها لأنها ترفض أن يعرف مـعـاناتهـا أحـد أو ربما لأنـهـا نـوع من المعـاناة لا يقـدر على ارتداء قناع الأسى .

كـان وجـهها هادئاً كـالمومـياء أو كأنـه وجه ميت ، إنه الخوف

الدائم من الموت الذى يتجلى فى نبضات الجسد الراقص حول موجيا، كانت ذرات الرمل تمتص فقاقيع العرق من فوق ذراعيها وقدميها العاريتين .

توقف ماسينجوا عن العزف فجأة فتوقف الجميع عن الرقص فبدا الأمر كأن زلزالاً قد توقف لكن الرعشات كانت مستمرة وكذا صدى الإيقاعات المتكرر عبر وادى الأرض المنغمسة فى الملذات وكان موجيا وماريا يواصلان الرقص وبقية الحاضرين يومئون ويدقون الأرض دون أن يتوقف التصفيق فى المكان، كان الرقص بلا موسيقى كالنار المحترقة التى لا يغذيها الوقود ففتح أحدهم عينيه ببطء ثم تبعه آخر وتوقف آخر عن دق الأرض وعن التصفيق وهكذا حتى انتهى الأمر ثم فتح موجيا عينيه وكذلك فعلت ماريا وتوقفا عن الرقص وساد صمت غريب بضع لحظات مثل صمت الطفل الذى يكتشف نفسه فجأة فى مكان خطأ .

ضحك موجيا بمتعة وإحساس بالنصر والتخفيف عن الذات وتبعه الآخرون بضحكات مختلطة ثم ربت الرجال فوق كتفه وحدقت فيه النساء بعيون ملؤها الرغبة وكان تانيا أيضاً يضحك فقد كانوا سعداء .

اثنان فقط لم يشاركا فى ذلك الصخب أولهما العجوز الذى كان نائماً عند الحائط والذبابة ترقص فوق فمه المفتوح وكان من العسير أن يتخيل المرء كيف يستطيع أن ينام فى مثل تلك اللحظة لكنه كان رجلاً كبيراً وأصلع كما أن تريسا لم تعد

تجلس فوق حجره وثانيهما تريسا التى بدت منعزلة عن كل شيء، كانت تحدق فى غروب الشمس وهى مستندة على تانيا وقد انتابتها فجأة رجفة هادئة وقوية بلغت ذروتها عند صدرها وأكتافها ولم تكن تعبأ بالحاضرين وضحكاتهم كما أنهم لم يكونوا مدركين ما بها فلم يكن يسيراً التعرف على ما يقلقها، ربما كانت خائفة من غروب الشمس التى قد لا تشرق مرة أخرى فهى تخاف الظلام مثل كثير من الناس وتخشى ما يحدث فى الظلام والنتائج التى يجب مواجهتها حين تشرق الشمس.. من يدرى ؟.

توقف الضحك وساد الهدوء وتفرقوا إلى جماعات يشربون ويتحدثون بهدوء وهم يمسحون العرق من فوق وجوههم بأصابع قذرة ثم ساد الظلام فدخلت المرأة الشابة أو امرأة تانيا التى كانت مختفية طوال الوقت وكانت تبدو مخمورة رغم وجهها الهادئ وبدأت تجاهد فى إشعال الفوانيس الثلاثة المعلقة فوق الخطاف الخشبى عند الحائط الطينى دون أن تتوقف عن محادثة نفسها.

تلألأ الضوء عبر الحجرة واختفى ثم تلألأ مرة أخرى أكثر وأكثر وسيارة ما كانت تتوقف عند المدخل فاندفعت ماريا إلى حجرة الجلوس بعد أن كانت مختفية عند الحاجز مع موجيا وصاحت : (يا أبناء الزنا، أيها الأوغاد)

كانت ماريا تكره البوليس فهرعوا جميعاً لإخفاء أنفسهم وكذلك فعل العجوز الذى استيقظ فتلألأت عيناه من الإضاءة

وركع ليصلى ثم نهض وراح يجرى هنا وهناك باصتباك كالدجاجة حتى اختفى خلف الباب، بينما وقفت ماريا بدون قلق ووضعت يديها فوق خاصرتها فى حالة انتظار وهان موجيا يقف خلفها ممسكاً بالعصا هما تريسا فكانت ماتزال مستندة إلى تانيا دون التوقف عن التحديق إلى حي_ تغيب الشمس .

خرج من السيارة رجلاف بنظارة سوداء فضحك موجيا ولم يقدرعلى إنهاء جملته حين قال : إنهما ليسا من البوليس ولكنهما من موظفى حكومة) ظهر عندئذ المختبئون وهم يشعرون بالراحة ثم استطرد موجيا : (كنت أقول دائماً إن الجنس البشرى بأكمله يلتقى عند نقطتين هما الجنس والموت) فضحكوا جميعاً وهكذا استقبلوا القادمين لكنهم شعروا بالارتباك وخاصة تريسا التى كانت غارقة فى أفكارها وتأملاتها فلم تتحرك بوصة واحدة.. حاولوا أن يتمالكوا أنفسهم وراحوا يتطلعون إلى الرجلين بريبة وكراهية فلم يتلقيا الترحيب الكافى ولم ينادوا عليهما بلقب «السيد» أو يقفوا فى طابور كما يحدث فى المكاتب الحكومية.

خلع أحدهما نظارته واكتفى بالنظر إلى تانيا وبدا واضحاً أنه جيمس الذى قال بدهشة وكأنه وجد القشة التى يتعلق بها : (لماذا نبحث عنك طوال المساء) ؟

ابتسم تانيا ومد ذراعه بازدراء ليصل صديقه بأولئك الناس الذين فقدوا الشعور بالراحة والذين يحتقرهم جيمس بالنهار لكنه يبحث عنهم ويحلم بهم فى الليل. توقف الحاضرون عن

الكلام وقد فقدوا سعادتهم ربما لأنهم كانوا خائفين لما سوف يتفوه به موظفا الحكومة عن البطالة أو تطوير القرية وربما خوفاً من الحديث عن الموت .

تحسس موجيا جيوبه وأخرج نقوده الأخيرة ثم طلب كوباً من البيرة لكليهما فانحنيا له بامتنان وراحا يشربان بسرعة دون أن يتوقفا بين رشفة وأخرى ودون مشاركة لأحد وكأنهما لم يشربا طوال اليوم ثم أخرج كل منهما منديلاً من جيبه وجلس عليه ، استيقظت تريسا من تأملاتها وبدأت تحدق في تلك الندبة الواضحة تحت عيني جيمس ثم ضحكت بصوت عال فاتجهت كل الأنظار إليها .

طلب جيمس بيرة لكل واحد منهم لكن أحداً لم يمتن أو ينحني كما فعل هو وزميله وإنما شربوا بنفس الطريقة لأنه من العيب أن يرد المرء الهدية ، كان تأثير الشراب واضحاً وكلما زاد التأثير كلما ضاقت الفجوة بين المجموعتين وراحوا جميعاً يتحدثون بأصوات عالية عن هذا وذاك وكان صوت العجوز أعلى الأصوات وهو يعاود الحكي عن تاريخه المكسور أو تاريخه الوهمي وبد أن أحداً لا يسمع بما فيهم تريسا التي كانت راقدة حينئذ فوق حجر موجيا .

لعبت البيرة برأس جيمس فانطلق لسانه وراح يمثل هاملت مرة ويستشهد بالإنجيل مرة أخرى ثم توقف فجأة وظل يستمع باهتمام لقصة العجوز الشجية التي انتهت بالدموع ، توجهت تريسا نحو العجوز وركعت تحته في محاولة لإيقافه عن الكلام

لأنها تعرف مدى الجرح الذى أصابه من الحديث خاصة وأنه لم يسبق أن أخبر أحداً بقصة مجده وسقوطه كما كانت تعرف أن المرء لا يستطيع أن يجلد نفسه ويعيش، لكنه رفض التوقف عن الكلام وقال مداعباً شعرها: (ابنتى العزيزة.. يا ملاكى.. إنه يوم حسابى ويجب أن أسدد ديونى فدعينى إذن أتكلم وسوف أقول كل شيء.. كل شيء ويمكنك أن تكونى سيدة لى أو يمكنك القول بأنه كان يعرف المكان الذى تتحطم فيه السلسلة كما تستطيعين أن تتساءلى عن السبب فى ضرورة أن يموت فى ماخور)

شعروا جميعاً بالدهشة والذنب ثم استطرد: (نعم.. تستطيعين القول بأنه قال الحقيقة أخيراً وأنه مات حكيماً ليس من أجل الحكمة ذاتها وإنما ليكتشف فوق سرير الموت المكان الذى تكسرت فيه السلسلة وليعرف كيف تكون الأشياء .. أنه لعزاء كبير)

وقفوا حوله كما يفعل الناس عند وقوع حادثة وجففت تريسا دموعه بنهاية فستانها وقالت متوسلة: (أرجوك يا بابا لا تفعل ..لا تفعل)

ظل يتحدث ويقلب الأفكار فى رأسه دون أن ينسى أية تفاصيل حتى أنه تذكر لون فستان الفتاة التى خدعها بالحب فى آخر مرة وأضاف كيف أنه عاش حياة الجنس التى كان يتمتع بها الشعراء والموسيقيون فى القرن الحادى عشر بفرنسا وشمال إيطاليا .

توقف قليلاً من التعب ثم قال : (يجب على المرء أن ينظر إلى الوراء للوقوف عند بعض التفاصيل وهذا ما فعلته بالدموع حتى لا أندم على شيء)

بكى كثيراً وكان من اليسير سماع تنهدات الحزن في أرجاء الحجرة وانتاب الجميع إحساس بأن العجوز كان يتحدث عن حياتهم الخاصة فتلاشى تأثير البيرة وظلوا يحدقون إلى الأرض وإلى العجوز وأغلق البعض عيونه محدقاً داخل نفسه لكن جيمس قال : (إن العالم عبارة عن كرسي مستدير حيث يجلس الكبار ويعبثون بشواربهم الرمادية حتى تتقرح جلودهم ثم يستديرون لسرد ماضيهم.. ياله من تعب أن يجلس فوق الكرسي ويعبث بشاربه عندما يكون أصلعاً و ....)

تطلعوا جميعاً إلى جيمس بدهشة وشعروا بأنه إما أن يكون مجنوناً أو أنه يسيء إليهم، ففقد موجيا أعصابه ودفع جيمس بأكتافه إلى خارج الباب مثل كلب وقح وتبعه زميله ثم انطلقا بالسيارة بدون إضاءة أنوارها الأمامية .

نظروا إلى تانيا بعيون ملؤها الاتهام لكون جيمس رفيقاً له فشعر تانيا بالذنب وأصابت العجوز حالة من الغيبوبة فحاولت ماريا وتريسا نقله إلى الفراش لأن الجميع يجب أن يموت فوق الفراش وسارع تانيا بمساعدتهما ليخفف عن نفسه وطأة الذنب .

عاد تانيا وتريسا وماريا إلى حجرة الجلوس وبدأ الحاضرون في الخروج واحداً بعد الآخر ببطء وهدوء حتى اختفوا جميعاً

في الظلام منكسرين وأكثر حزناً مما جاءوا إذ لم يشبعوا رغباتهم العنيفة وقد أصابهم الهزال من الخوف الكامن في قلوبهم كل الوقت والذى فجره حديث العجوز وكذلك خرج موظفا الحكومة دون تحقيق رغباتهما المكبوتة لكن أحلامهما لم تتحطم على أية حال كالآخرين ولم يتملكهما الندم والخوف .

كان تانيا آخر من غادر المكان وقد أصابه الارتباك الشديد حتى أنه لم يسمع ماريا وهي تقول له : (طابت ليلتك)

توقفت تريسا عند الباب ناظرة إلى ماريا وتانيا في محاولة لأن تفهم شيئاً ثم تبعت تانيا في الظلام وهي مخمورة تماماً دون أن يدرك تانيا الذى بدأ في السير في خط مستقيم لا يعرف نهايته .

سمع صوتاً يقول : (أردت أن أقول ....)

كانت الأفكار تسيطر عليه فهز رأسه ونظر خلفه لكه لم يبصر سوى الظلام وسمع نفس الصوت مرة أخرى : (أردت أن أقول بأننى لا أستطيع الحضور معك هذه الليلة رغم أننى أتمنى ذلك لكن العجوز يموت ويحتاجنى إلى جواره وعلى أية حال فإننى أريد أن أراك مرة أخرى وفى أسرع وقت)

سارعت بالعودة وبعد لحظة قصيرة أبصر تانيا نقطة سوداء تختفى في ضوء البيت الأصفر ثم وقف بعض الوقت محاولاً أن يفهم تلك الكلمات وهو يكرر بصوت عال : (أريد أن أراك مرة أخرى وفى أسرع وقت) .

(٥)

كانت العائلة كلها تلتف حول والد تانيا كما كان الناس يحتشدون حول الرجل العجوز في منزل ماريا. وعندما وصل تانيا كان والده يتألم ويتنفس بصعوبة وكأن العالم بأسره يجثم فوق صدره المصاب بالسل. رفع ذراعيه بيأس ولوح بهما كمن يتخلص من عبء ثقيل أو شيطان رجيم ثم راح في نوبة سعال متقطع، دخل تانيا من الباب الصغير لكوخ أبيه فتجمعت العائلة حوله ليس لاتهامه وإنما اعتقاداً منهم بأنه سينقذ الرجل المريض.. ربت تانيا فوق كتف أمه التي شعرت بحضوره فاستطاعت أن تفهم وتخلت عن مكانها حيث جلس تانيا عند قمة السرير ثم وضع رأس أبيه فوق حجره.

في ضوء الكيروسين المحترق لاحظ تانيا أنهم جميعاً يبكون.

همست الأم للأولاد : (اذهبوا الآن للنوم يا أولاد.. اذهبوا للنوم.. إن تانيا موجود)، أمسك الأخ الأصغر بيديها وتبعها بقية الأولاد، ألقت أونيا نظرة رحيمة إلى أخيها وربتت فوق كتفه وخرجت ثم عادت بعد دقائق قليلة ومعها طاسة من اللحم وزجاجة مليئة باللبن الرائب وبعض البطاطس المسلوقة

التى يحبها تانيا كثيراً، لكن شهية تانيا لم تكن قابلة للأكل فى مثل هذه اللحظة، قطعت أونيا اللحم إلى قطع صغيرة وناولته فى فمه مع قطع من البطاطس ثم قدمت له زجاجة اللبن وكانت تود لو تمضغ له الطعام إذا ما أراد.. مضغ تانيا الطعام وابتلعه بطريقة ميكانيكية وقد ساعده اللبن فى ابتلاع البطاطس واللحم ثم هز رأسه علامة الشبع. فجمعت أونيا الأوانى نصف الفارغة وألقت فجأة نظرة سريعة إلى أبيها النائم ونظرة أخرى طويلة إلى أخيها ووضعت ذراعيها فوق كتفه ثم تنهدت وبكت قليلاً وسارعت بالخروج دون أن تقول له تحية المساء .

ساد الظلام وظل تانيا يحدق فى الجمرات حتى تلاشت تماما وكانت عيناه مثبتة عند النقطة التى تلاشى عندها آخر ضوء حيث أصبح الظلام حالكاً فلم يشعر بفرق كبير بين فتح عينيه أو غلقهما لكن عقله كان يقظاً وكان يفكر بقلق ورأس أبيه ما تزال فوق حجره ترتعش من ضعف اللحظات الأخيرة .

كان تانيا يتصبب بالعرق رغم برد الليل، أغلق عينيه وأحكم قبضته فى انفعال وبدأ عقله يعود للوراء وكأنه يبحث عن بذرة مفقودة فى الأعشاب المحترقة.. تذكر نفسه حين كان ولداً صغيراً حيث كان بمقدوره اكتساب تجارب وخبرات عديدة واستطاع أن يتذكر ذلك اليوم القاسى فى المدينة حين اضطر للذهاب مع امرأة لعوب وبدلاً من أن يدفع لها راح يضربها ويمزق ثيابها فالإنسان لا يعرف السبب فى إصابته بالسل الرئوى .

وظل يطوف بذهنه هنا وهناك بعيونه المغلقة والعرق المتصبب منه لكنه طوال الوقت كان يلاطف رأس أبيه الهادئة رغماً عنه فتذكر ذلك اليوم منذ سنوات عديدة حين استيقظ فى حالة سيئة بعد وفاة أمه بسنوات قليلة وكانت رقبته تؤلمه وأمعاؤه منقبضة وعقله مضطرب من ذلك الحلم الذى رأى فيه أمه تندفع فى اتجاهه وهو يرقد متوسلاً بعد أن سقط على الأرض فشعر بأنه مشدود مثل كلمة فى بداية جملة مجهولة وذهب فى الصباح مشوشاً حيث كانت الأمطار والأرض المبللة بالطين وكان عليه أن يسير ميلين كالمعتاد للصول إلى المدرسة التى التحق بها منذ أربع سنوات .. كان المطر والرعد لكن تانيا مضى فى طريقه وقد حرر نفسه من أية أفكار أو قلاقل حتى أنه لم يشأ أن يقطع ورقة الموز لحماية نفسه من الأمطار غير أن سؤالاً واحداً ظل يشغله طوال الطريق: لماذا يذهب أساساً إلى المدرسة؟ لماذا المدرسة؟ ولم لا يذهب إلى السوق أو الغابة أو إلى ذلك الكوخ الذى يسكنه الأجانب والمصلون الذين يتضرعون من أجل المطر؟.. هل للمدرسة ذلك الطابع المغناطيسى الخاص بالنسبة لأولئك الذين ضاعوا فى الصحراء ؟

كانت الأمطار تبلل أرض المدرسة غير أن لونها كان بنياً لمرورها على سقف القش المتعفن، تأخر تانيا عن المدرسة فكان عقابه أن يقف عند الركن حيث الأمطار أكثر تدفقاً لكنه لم يشعر بها وكان المدرس شاباً هادئاً وجذاباً بطريقة خاصة وقصيراً بلون الفول السودانى وكان ذائع الصيت لمرءوته

وحماسه الوظيفي ربما لإخفاء حقيقة أنه لايجيد فعل أى شيء آخر وقد تباهى ذات مرة أنه عضو فى مؤسسة منتجي ومستهلكي المعلومات ، سأل تانيا في درس الحساب عن الجذر التكعيبي للجذر التربيعي لواحد : ٩ وبدأ كأنه يسأل تانيا عن لون الله أو اليوم الذى سيموت فيه فنظر إليه تانيا مرتعشاً ليس من الخوف وإنما من البرد وأجاب بهدوء بأنه لا يعرف وأراد يومها تانيا أن يضيف بصوت عال أنه لا يبالى بالجذور التكعيبية لكنه أصبح مشغولاً بملابسه المبللة التى التصقت بأجزائه الأمامية وراح يعدل من وضعها فتعجب المدرس من هدوءه وعدم اهتمامه وظل يهذى بينما التصقت ملابس تانيا بمؤخرته لكنه لم يبال هذه المرة .

كان اللوح الحديدى المتجعد يحمي المدرس من الأمطار البنية اللون ورغب تانيا أن يحكى حلمه للمدرس والفصل وتمنى لو أن هناك مدرسة يستطيع فيها الحديث عن أحلامه وأحاسيسه التي يشعر بها الآن وقد التصقت ملابسه بجسده من الأمطار . . ماذا ينبغي أن يفعل بالجذور التكعيبية بعد حلمه بمجيء أمه كي تحرره من نكبته .

انته الدرس وكان المدرس يمشى إلى جوار تانيا وهو يهز رأسه بيأس فلقد أدرك أنه أحد أولئك الأولاد الذين لا يصلحون للمدرسة . . قال المدرس لتانيا بأنه سيطرده من المدرسة إذا لم يتراجع بعيداً عنه وأوشك تانيا على القول بأنه لن يعود إلى ذلك المكان مرة أخرى لكنه كان مشغولاً بمراقبة الأمطار النظيفة

التى تتساقط بالخارج.

اتجه تانيا مباشرة من المدرسة إلى قبر أمه الذى لم تنبت الزهور فوقه بعد وجلس فوق الطين رافعا يديه فوق الرابية التربية ثم راح يبكى فاختلطت دموعه بقطرات المطر المتساقطة فوق الرابية.. بعد توقف الأمطار اتجه نحو البيت وقد قرر أنه لن يعود أبداً إلى المدرسة إذ ليس بمقدوره أن يتعلم الجذور التكعيبية بعد أن بكى فوق قبر أمه، لقد حررته الدموع من الطفولة وحب المعلومات عن القسمة والضرب أو الثورة الصينية، لقد تحرر بدموعه التى تساقطت فوق القبر من الأحاسيس العادية كالأمنيات والاهتمامات.. ماذا كان سيحدث لو أن أمه كانت ماتزال تعيش فوق الأرض وفمها مليء بالطين ؟.. لقد قالت أمه ذات مرة إنها لا تخشى الموت ولكنها تخشى الغياب بعد الموت وتخاف ذلك السكون الذى يتبع النار المطفأة.. إن الميول والرغبات ترقد فى النهاية تحت القبر المتجمد قبل أن تنال حظها من التحقيق فما فائدة التعليم إذن، إن المتعلمين والناجحين يتجنبون النتائج الحقيقية ومعظمهم سيئون.

أثناء سيره كان يتمتم بالصلاة ليس لأحد أو إله بعينه فأعظم الصلوات لا تتوجه إلى إله أو شخص بعينه وإنما تخرج ببساطة كالرغبات والأمنيات المفككة التى لا تتحول أبداً إلى حقيقة .

فشل فى استعادة بعض التفاصيل فالإنسان غالباً ما يتذكر فقط الصوت الداخلى فى حلق امرأة مارس معها الحب لكنه لا يتذكر لون فستانها وعند اقترابه من كوخ أبيه لاحظ أن بومتين

أو ثلاث بومات تغنى عند شمال الكوخ وشعر بحفيف أوراق الموز التى يسقفون بها الكوخ ثم تحسس طريقه فى الظلام بحثاً عن زجاجة ماء. لأنهم دائماً يقدمون الماء لأى شخص يوشك على الموت لأن الموشكين على الموت لابد أن يفعلوا شيئاً ما وطلب الماء هو أقل هذه الأشياء.. تذكر تانيا امرأة قتلها اليأس بعد وفاة ابنها الوحيد حين قالت: (لماذا، إن ابنى الصغير لم يكد يشرب الماء الذى أمسكت به أمام شفتيه، لماذا تحدث مثل هذه الأشياء أيها الرب؟ ولماذا أسألك وأنت لاتعرف الإجابة؟) ثم انخرطت فى بكاء مرير.

أحضر تانيا زجاجة الماء وفى طريق عودته ضرب رأسه بالعمود وكانت شفاه العجوز جافة وميتة لكنه شرب بسرعة من يد ابنه وعاد للنوم فلم يكن الماء مراً.. شرب تانيا من نفس الزجاجة ووضع شفتيه فى نفس المكان الذى وضع فيه أبوه شفتيه ليس لأنه يشعر بالعطش ولكن لأنه لايعرف السبب، ربما لأن أباه شرب كثيراً دون أن يكون عطشاناً أو لأن ابنه هو الذى قدم له الماء.

بدأ تانيا يتساءل مرة أخرى بينما رأس والده فوق حجره غير أنه لم يعد قادراً على التفكير بشكل منتظم.

كان البوم يصيح وكانت رأسه تؤلمه وتحول النسيم فى الجو إلى رياح موسمية فشعر تانيا بالنوم يغالبه بينما رأسه مستندة إلى الحائط ورأس أبيه راقدة فوق حجره.

(٦)

هكذا أمضى تانيا ليلته فى الظلام.. دخلت أونيا وهى تقود أم تانيا بيدها والتى هى جدته فى الحقيقة، كانت تحمل طاستين من حساء الموز لأولادها المرضى، تحسست جبهة تانيا وشعرت بالجرح الذى أصابه فى الليلة الماضية فقفز تانيا من الألم ووقف بعيداً عن فراش العجوز خطوة أو خطوتين دون أن يعرف ماحدث، بينما كانت المرأتان تجاهدان لوضع العجوز فوق الفراش ومنعه من السقوط.. وقف تانيا ينظر إليهما وهو يمسح بأصابعه الدم الناتج من الجرح الذى لم يؤلمه بالأمس، نظر إلى الدم فى يديه وكأنه يشاهد الدم لأول مرة.. كان ثمة رسم غامض ينعكس فوق الدم .

كانت المرأتان مشغولتين وراحت الجدة تطعم الرجل المريض بالمعلقة الخشبية ببطء بينما كانت الأخت ترتب الفراش وهى تشرح لجدتها المتنهدة ما حدث.. التقط تانيا قطعة مكسورة من المرايا من تحت السرير ومسحها ثم نظر إليها متطلعاً إلى نفسه، لم يكن قد نظر فى مرآة منذ زمن بعيد، فبدا الأمر وكأنه ينظر إلى صورته التى رسمها شخص آخر بعد سنوات، كان كبيراً

جداً في المرآة ويبدو عليه التعب فتفحص رأسه بعصبية ولم يكن قد أصابه الشيب بعد .

كان العجوز راقداً في الشمس وتحت رأسه وسادة من ورق الموز قد صنعتها أونيا وغطتها ببطانية قديمة وكان أحسن حالاً في ذلك الصباح رغم أنه لا يزال عاجزاً عن الكلام والأكل ففرحت أمه بعودة الحياة إليه ورغم قلة كلامها إلا أنها راحت تتحدث إلى أونيا وهي تنظف الإناء تحت ظلال شجرة الموز قائلة : قلت لك يا ابنتي أن على الإنسان ألا يفقد قلبه أبداً ولا يفقد الأمل في الله أبداً فها هو يكاد يمشي مثلما كان طفلاً قوياً ، لقد كان طفلاً قوياً .

داعبت وجه ابنها بعناية شديدة وانتزعت الملابس التي تغطيه حتى خصره برقة وحب من أجل أن تعرض جسده للشمس ثم استطردت : نعم يا ابنتي لقد كان قوياً حتى أنه شد أثدائي ذات يوم وهو يرضع .

ضحكت فظهر فمها الخالي من الأسنان وأضافت : كانت يا ابنتي أيام طيبة رغم ما كان من ألم كثير لكن الألم يصبح لا شيء حين يكون الإنسان سعيداً ومتحققاً .

تحسست ثديها الفارغ وهزت رأسها قائلة : لا .. لم يكن الألم ألماً في تلك الأيام ولقد كان والده قوياً مثله ومفعماً بالرغبة والعنف وأحياناً كان يرضع مني حين أسمح له ، فالرجال كلهم أطفال ، هل تعرفين؟

كانت أونيا ما تزال تنظف الإناء وتختلس النظر إلى أخيها

فلم تستمع إليها جيداً لكنها أجابت ببساطة : نعم يا أمي ، إنهم كذلك .

قالت الجدة : يجب إطعام أولادنا جيداً اليوم ، لماذا تعتقدين أن أباك سيموت ، لقد أخذ الله بيده وأقسم أنه سينهض ويمشى قبل الانتهاء من طهى الطعام ويجب أن تعرفى أن الناس الذين على وشك الموت يستيقظون وهم جائعون جداً .. اذهبى يا ابنتى إلى بيت ميريشو واطلبى من جاجاوا أن تعيرنا دجاجة وقولى لها إننا سوف نردها لها غداً بعد أن تذهبى وتبيعى الذرة وعندئذ نستطيع شراء دجاجة أخرى لأنه يجب أن نطعم أولادنا جيداً اليوم وهكذا لن يستطيع أحد القول بأن نساءهم قد تخلت عنهم ارتجفت أونيا من كلام جدتها عن جاجاوا وأجابت : أوه .. لكن جاجاوا ماتت منذ عامين كما تعرفين يا ماما .

– أوه ، يا إلهى .. نعم ، ماذا حدث لى يا ابنتى ؟ هل أصبحت عجوزاً إلى هذا الحد ؟

– لا يا أمي فنحن جميعاً ننسى أحياناً .

ساد الصمت مثلما يحدث دائماً عندما يذكر شخص ما أحد الموتى ثم استدارت الجدة ووضعت يدها فوق وجه ابنها وكانت أونيا ما تزال تنظر إلى تانيا الجالس فى مواجهة الغرب واضعاً رأسه بين فخذيه ، كان يلعب بالتراب تاركاً إياه يتساقط ببطء بين أصابعه كما تتساقط سنوات العمر ثم يلتقطه من جديد ويجعله يتساقط من بين أصابعه مرة أخرى وأخرى بطريقة

متأنية ومنتظمة، فعرفت أونيا أنه إما يتأمل أو أنه يشعر بالضياع.. لم يكن تانيا يتأمل أى شيء لكنه كان ضائعاً بلا حدود حتى أنه لم يسمع جدته وهى تتحدث، فهناك أوقات ننظر فيها دون أن نرى ونسترق السمع دون أن نسمع.. ربتت أونيا فوق كتف تانيا وطلبت من الأولاد أن يكفوا عن الضجيج أو يلعبوا بعيداً ثم راحت تعد وجبة الغداء التى يجب أن تكون وجبة جيدة، تناولت الإناء من ركن الكوخ وأرسلت أخاها لشراء دجاجة من بيت ميريشو بعد أن ناولته ثلاثة شلنات كانت قد وفرتهم خلال عامين على أمل أن توفر المزيد لتشترى فستاناً جميلاً، كانت تعرف أنها فتاة جميلة وأنها ستجد زوجاً طيباً فى الوقت المناسب، كانت تأمل فى ذلك منذ عامين على أمل أن يستقر تانيا ويعتنى بالصغار لكنه لم يستقر حتى الآن كما أن والدها يوشك على الموت فلا داعى إذن لارتداء فستان جديد .

قالت العجوز وهى جالسة فى الظل مع الرجال: تمنيت لو يوجد لحم اليوم.

قدمت لها أونيا الطاسة بأكبر جزء من الدجاجة فهى دائماً تنال الجزء الأكبر ليس لأن معدتها كبيرة أو لأن لها شهية كالصغار وإنما لأنها الأكبر سناً وعندما كان يعترض الصغار كانت أونيا تقول لهم إنها عجوز وستموت قبلكم أما أنتم فإنكم تملكون الفرصة لمزيد من الطعام بالإضافة إلى أنه لولاها لما كنا نحن.

قالت أونيا وهى تقدم الملعقة إلى جدتها : يوجد لحم يا أمى .. دجاج .

قالت العجوز وفمها مملوء : لكن جاجاوا ماتت كما قلت :

أجابت أونيا بأن ثمة جاجاوا أخرى لكن المرأة العجوز لم تسمعها فقد كانت مشغولة بطعامها الذى راحت تبتلعه لعدم وجود أسنان .

ملأت أونيا الملعقة بالمرق وقطع صغيرة من الدجاج وراحت تطعم الأب فى فمه بينما أمسك أخوها الأصغر بالطاسة .

هز العجوز رأسه حين أحس بالشبع فتناولت أونيا طاسة تانيا وتوسلت إليه أن يأكل وقالت الجدة المشغولة بطاستها : تناول طعامك يا ابنى ، إنه طعام جيد وقد تماثل أبوك للشفاء ، تناول طعامك من يد أختك الرقيقة فهى أفضل طاهية فى كاشا وانجا وتذكر أن المعدة المليئة لا يصيب صاحبها الندم .

انحنت برأسها وعادت لطاستها دون أن ترى رأس تانيا وهى تهتز بالرفض ، تحركت أونيا بما تبقى معها من الشلنات الثلاثة إلى الجانب الآخر من الشجرة حاملة الإناء فوق رأسها وأمسكت بجناح الدجاجة لكنها سرعان ما أعادته إلى مكانه قبل أن يلمس شفتيها وراحت تبكى فى هدوء .. مضى تانيا نحوها وبدأ يأكل بطريقة ميكانيكية ويمضغ عظام الدجاجة والذرة والمرقة فى وقت واحد وكأنها أعشاب دوائية ذات مذاق لاذع .. جففت أونيا دموعها وبدأت تأكل ببطء دون أن يفارقها الشعور بالأذى العميق بعد أن قدمت كل ما عندها دون أن

يشكرها أحد فهل باستطاعة المرء أن يفعل أكثر مما يستطيع ؟
تحركت الشمس نحو الغرب فاكتسى الكوخ بظلال أشجار الموز وقد تحرك الجميع للوراء بحثاً عن الشمس القليلة بين الظلال فيما عدا تانيا الذى ظل فى مكانه.. همست أونيا لأمها عن حالة الرجل المريض الذى كان وجهه مشرقاً فى الصباح وأصبح الآن يرتجف ولايقوى على الكلام، كان يحرك شفتيه بوهن ولم يعد قادراً على طلب الماء.. جلست الأم عاقدة حاجبيها وهى تشهد خيبة آمالها مثل شخص يسحب ابتسامة قدمها بطريق الخطأ إلى عدوه .
جلس تانيا كما كان تاركاً الرمل يتسلل من بين أصابعه ولعق شفتيه وكأن شيئاً لا يحدث حواليه، شعر بألم فى أردافه فانحنى على كوعه بعض الوقت ثم عاد إلى وضعه.. كان ينظر إلى بقية العائلة وكأنه ينظر إلى حبة من الذرة فوق الأرض.
اندفعت الأخت الصغرى إلى الداخل ولم تكن تدرى بما يحدث لكنها كانت شغوفة لتسليم الرسالة التى تحملها .
قالت : شخص ما ينتظرك فى الطريق يا أخى الأكبر، إنها امرأة، فتاة شابة وأخبرتنى أن الأمر عاجل وكانت تبكى .
كررت ما قالته مرتين فعرفت أن تانيا لم يسمعها ثم هزت رأسه وأخبرته بالرسالة هز تانيا رأسه وقال : إيه .. إيه .
كررت الطفلة ما قالته مرة أخرى بسرعة وغضب وقالت وهى تعود إلى حيث كانت تلعب أن على تانيا أن يستخدم أذنيه .

جرجر تانيا قدميه ببطء وتثاقل ومضى نحو المدخل لكنه عاد وتناول زجاجة الماء وقدمها لأبيه الذى لم يشرب ، أعطى الزجاجة لأخيه وتقدم نحو المدخل دون أن ينظر خلفه .

كانت تريسا تقف باكية خلف أحد الروابى

كانت تبكى بشدة ولا تقول شيئاً .

(٧)

وضع تانيا ذراعيه حول تريسا بحنان ورفق ولم تكن قادرة على الوقوف فأمسك بها وساعدها على الجلوس، كانت تواصل بكاءها وحين توقفت تحسست وجهه بيديها وظلت تنظر إليه عن قرب وقالت: لقد مات، مات ظهر اليوم، أوه.. ياله من شيء فظيع!! لقد بقينا معه الليل بطوله لكنه فقد عقله في الصباح وراح يهذى عن هذا وذاك.. لماذا قال بأننى قتلته حين جلست فوق حجرك بالأمس، لقد قال ..

بكت مرة أخرى لكنها تماسكت بسرعة ونظرت إلى تانيا بعيون متوسلة وهى تضيف: هل تعتقد بأننى قتلته حقاً ؟

قال تانيا وهو ممسك بها كما كان يمسك بالرمال المتسللة بين يديه منذ لحظات مضت: لا .. أنت لم تقتليه فلا أحد يقتل أحداً ولكن الناس تموت لأنهم يريدون الموت أو لأنهم مرغمون عليه .

لم تشعر تريسا بالاطمئنان وقالت : لو بقيت فوق حجره لما مات .

أجاب تانيا ببساطة والتراب مايزال يتسلل من بين أصابع

يده اليسرى : ربما ! ! جلسا بعض الوقت ثم نهضت تريسا فجأة وكأنها قد برأت تماماً، حدقت في تانيا وقالت : يجب أن ندفنه الليلة فنحن في موسم الحرارة والذباب كثير فربما تتعفن جثته إذا انتظرنا حتى الصباح، أرجوك أن تأتي لمساعدتنا أنا وماريا وموجيا.

كان الجو حاراً فأصبحت المهمة شاقة بالنسبة للرجلين اللذين عملا بهدوء وبدون طقوس أو حتى عراف، بينما كانت تريسا وماريا تجلسان تحت ظل الشجرة لاهثتين ومليئتين بالعرق.. غرق العجوز في الحفرة ببطء حتى نهايتها دون أن تتوقف تريسا وماريا عن البكاء وكانت تريسا تردد وكأن شخصاً ما يضربها فوق معدتها : أوه .. أوه .

انتهى الرجلان من عملهما دون أن يتبادلا الحديث ثم مسحا يديهما من التراب لكنهما لم يتذكرا وضع علامة فوق القبر كي يتسنى للناس إحناء رءوسهم حين يمضون بجواره كنوع من الذكرى الوقور للميت.. لكن النساء لا تنسى أبداً مثل هذه الأشياء، نضهت ماريا ودحرجت حجراً كبيراً حتى وصلت به إلى قمة القبر بينما كانت تريسا قد أسرعت إلى المنزل لإحضار القناع البرونزي للرجل الميت الذي كان معلقاً فوق الحائط لتدفنه معه كما يضعون رمح الجندي الشهيد في القبر.. قطعت كل من ماريا وتريسا فرعاً من الشجرة وغرزتاه في الأرض إلى جوار الحجر الكبير ووضعتا القناع البرونزي فوقه ثم تبعتا الرجلين إلى المنزل.

ضحك الناس الذين مروا بالقرب من قبر العجوز واعتقدوا أنها أحد دعابات «موتيتا» مهرج القرية أو أى شخص آخر .

انتشرت حكاية التربة التى يعلوها القناع فضحك كل الناس فى القرية وكذلك أم تانيا التى كانت حزينة طوال اليوم وبعد أسابيع قليلة أشاعوا بأن العجوز المجهول لم يمت وإنما حرق بطانيته القديمة وترك قناعه هناك ثم انتقل إلى قرية أخرى فى الشمال .

بعد سنوات كانوا يشيدون كنيسة كاثوليكية صغيرة عند مكان القبر وتلاشى القناع البرونزى وسط فروع الشجرة الكبيرة وكان الأب الكاثوليكى الودود بذقنه الذهبى يقول :

يوجد الكثير الذى يمكن اكتشافه فى إفريقيا فهذه الشجرة تنشأ من أعماق حضارات إفريقية عديدة وتعد رمزاً وشاهداً على الحقيقة ، نحن نبنى الكنيسة هنا للتوسل والرجاء .

عندما عادت تريسا وماريا إلى الكوخ كان الرجلان ينظران إلى أسفل ومازال العرق يتساقط من جسديهما المتعبين فأحضرت ماريا طاسة من البيرة لكليهما لأن الحلق يكون جافاً بعد الموت ، شرب موجيا طاسته بسرعة وعاد ينظر إلى أسفل ، بينما هز تانيا رأسه بالرفض فقدمت طاسته إلى موجيا ، وشربت هى طاستين .

سارع تانيا بالذهاب إلى بيته دون أن يقول شيئاً فهبت تريسا واقفة وراحت تتبع خطواته كالكلب الجائع الذى يتبع قطعة من اللحم .

اقتربت منه وقالت : خذنى معك أرجوك فلم أعد قادرة على البقاء مع ماريا أكثر من ذلك ، لا أستطيع العيش فى منزل الموت هذا وليس لى مكان آخر أذهب إليه .. خذنى معك أرجوك وأريدك أن تتزوجنى حتى ولو بدون مهر أو أى شيء لكننى سأغسل قدمك كل صباح ومساء ، كما أننى أعرف طهى الطعام وأستطيع طهى الموز جيداً لأن أمى علمتنى قبل أن تموت .. سأجعل فراشك دافئاً وسأعتنى بتدليك ظهرك عندما تتعب .. لقد رأيت اليوم أختك الصغيرة وربما لك غيرها من الإخوة والأخوات ، سوف أعتنى بهم أيضاً وبنظافتهم وسوف أرتق ملابسهم ، فأنا أعرف مثل هذه الأشياء جيداً كما أننى سأقدم لهم الأعشاب اللازمة للمعدة كما علمنى أبى قبل أن يموت ، وسوف أربى أطفالك وسوف وسوف إذا سمحت لى بذلك .. أوه ، كم أحب أن أحمل أطفالك فوق يدى وظهرى .. أرجوك خذنى معك يا تانيا .. أرجوك .

تبادلا الكلمات بسرعة ولم يستمع تانيا إليها جيداً فاعتقدت تريسا أنه رافض لما تقول فركعت تحته وتعلقت بقدميه ، ثم نظرت إليه بعينيها الجميلتين ذات اللون البنى كعيون الماعز وكررت بوضوح : أرجوك أن تأخذنى معك .

لم تكن عينا تانيا توحى بالمرارة أو الرفض وهو ينظر إليها دون أن يسمع سوى كلماتها الأخيرة ، ساعدها على النهوض ولف ذراعه حول خصرها الجميل ثم تحركا نحو البيت بعيداً عن غروب الشمس ، شعر تانيا بشيء ما فى جسده ينمو ويتحرك

ببطء وكان ذراعه حول خصر تريسا يشعره بنفس الأحاسيس التي يشعر بها عند قبر أمه تحت الشجرة المقدسة .

كان يمشي بسرعة كبيرة وكان على تريسا أن تسارع بخطواتها كي تلحق به .

قالت وقد اقتربت منه : لقد مارست الجنس مع رجال ثلاثة في منزل ماريا وصدقني يا تانيا أنني كنت مضطرة لذلك ، كان أحدهم موظفاً حكومياً من أولئك الذين يركبون السيارات الكبيرة وكانت ماريا تحتاج للنقود وكنت أريد لها أن تحيا ، أما الثاني فقد أجبرني على ذلك وكم كان فظيعاً حتى قررت أن أقتل نفسي لو حملت طفلاً منه لكن ذلك لم يحدث وكان الأخير هو الرجل الذى مات حين هدد بقتل نفسه إذا لم أسمح له بذلك ولم أهتم كثيراً فلقد سمعت أنهم في بعض الأماكن يتبرعون بالدم لإنقاذ الناس الموشكين على الموت فهل تعتقد أنني كنت مخطئة يا تانيا ؟

كانت خطوات تانيا ماتزال مسرعة ولم يكن مدركاً تماماً لوجود تريسا وهو يضحك بصوت عالٍ .. شدت ذراعه بقوة حتى توقف عن السير وشعر بقليل من الذنب لأنه كان يضحك بهذه الطريقة في مثل هذه الظروف .

تساءلت تريسا برقة وقلق : لماذا تضحك ؟

واصل تانيا ضحكاته ولكن بصوت خفيض هذه المرة فكررت تريسا سؤالها .

قال تانيا : هل كان بمقدوره فقل ذلك ؟

- مَنْ ؟

- الرجل العجوز، الرجل الميت .

- لا .. ليس بالضبط فأنت تعرف طريقتهم، كان يسب ويلعن طوال الوقت وتحدث عن أنه كان رجلاً طيباً لكنني تمنيت حقيقة لو أنه استطاع فعل ذلك جيداً من أجله بدلاً من الكذب وإغراق وجهي بدموعه. شعرت بالأسف من أجله ثم شعرت كأنني مريضة فنهضت واغتسلت .

قال تانيا : ياله من عجوز مسكين! ليتني لا أصبح عجوزاً مثله .

أجابت تريسا : سأكون معك حين تصبح عجوزاً .

ضحك كلاهما فقالت تريسا : دعنا نستريح قليلاً .

جلسا في صمت يتطلعان إلى غروب الشمس ثم وضعت تريسا يدها فوق فخذ تانيا وبعد قليل من الوقت سألته دون أن تحرك عينيها وهي تنظر إلى الشمس الغاربة: هل أنت غاضب لأنني مارست الجنس مع أولئك الرجال؟ كان لابد أن أخبرك فلقد علمتني أمي أن أقول الحقيقة دائماً. حاولت أمي جاهدة أن تجعل مني فتاة طيبة وشريفة على أمل أن أقابل رجلاً جميلاً ذات يوم وأتزوجه، وأعتقد أنها لم تتوقع ما وصلت إليه وذات يوم هجرت بيت ماريا الذي كان جميلا جداً في أيامها ولم يكن يوجد مثله فكان الناس في كاشا وانجا يتزايدون ويمارسون الحب والكراهية وفي هذا الجو أحبت الأمهات أطفالهن وقدسن أزواجهن، كان الرجال يتصارعون بقوة ويتقاتلون لكنهم كانوا

أيضاً يحبون بعضهم البعض بطريقة ما ثم يموتون كما مات العجوز دون أن يبكى عليهم أحد وهم يدفنون في الطريق كالكلاب.. أما اليوم فالنقود هي كل شيء وكذلك الوضع الاجتماعي، لماذا ينبغي أن يصبح الأطفال موظفي حكومة، سوف نصبح قريباً بلد موظف الحكومة والنقود والدعاية فهم يقدمون في الإذاعة أنصاف الحقائق فقط .

كان تانيا ينظر إليها ويدلك رقبتها وكأنه يخفف آلام اعترافها ومخاوفها ثم فكر قائلاً : يالها من طفلة مسكينة !!

يجب أن يحميها من ذلك الصراع والتفتت.. لم يستطع بعد اعترافها أن يسمعها بوضوح أو ربما لم يكن راغباً في سماع المزيد فراح يداعبها ويتحسسها كي تنسى.. وضع رأسها فوق صدره وقال لها : انظرى إلى الشمس الغاربة .

ثم أضاف : هل تودين معرفة عدد النساء اللاتى مارست معهن الحب ؟

أجابت : لا

– ولماذا أخبرتنى أنت إذن ؟

– لأننى امرأة وحين تذهب المرأة إلى فراش رجل فإما أن يكون ذلك بالقوة لسبب أو آخر وفي هذه الحالة فإنها تمضى وقتاً عصيباً لنسيان تلك الإهانة أو أنها تمارس الحب مع رجل تحبه وحينئذ يظل ذلك الرجل بداخلها دائماً، أما معكم أيها الرجال فالأمر يختلف حيث الذهاب إلى الفراش مع امرأة يعد بالنسبة لكم كالمخاط .

قال تانيا وهو يداعب يدها من فوق أنفه : إنك تعرفين أكثر مما يحتمل عمرك .

قالت : لأنني عانيت أكثر مما يحتمل عمرى .

- لست مهتماً بالذين مارستي معهم الجنس .. إنه لشيء فظيع أن يقطع الطفل إصبعه رداً على مضايقة أمه له ، أوه .. ربما لأن المرء لايجد شيئاً آخر يفعله أو ربما لأنه قد فقد احترام الجنس البشرى .

- هل كنت قاسياً مع النساء اللاتى بادلتهن الفراش ؟

- نعم .. أعتقد ذلك .. أعتقد أننى كنت قاسياً فى معظم الحالات .

- أتمنى ألا تكون قاسياً معى .

- وأنا أيضاً أتمنى ذلك فإننى لست مهتماً بما حدث معك لكن ما سوف يحدث هو مايهمنى .

- لماذا ؟

- لأنك ستصبحين زوجتى ، زوجتى الوحيدة إذ أننى أشعر تجاهك ما كنت أعتقد فى استحالة الشعور به مرة أخرى وها أنذا أحس بالدم يجرى فى عروقى مرة أخرى .

* أوه تانيا ، حبيبى تانيا ، زوجى تانيا ، سوف أقوم على خدمتك طوال عمرى وتشهد الشمس الغاربة على ما أقول ، سوف أحبك وأربى أطفالك .

- جعلته يجلس على الأرض ومرت بيديها فوق شعره وقبلت رقبته وصدره وهى تبكى من الفرح ومن الحياة التى

اكتشفتها من جديد .

لف ذراعه حولها وقال ببطء : نعم، نعم يا حبيبتى .

ثم نهض فجأة وفكر فى كيفية ألا تتعرض هذه الفتاة المسكينة لموت آخر، لابد أن ينقذها من الموت وعليه الآن أن يصحبها لتقيم مع جيمس حتى يتحسن والده أو يموت .

كان تانيا فرحاً لهذه العلاقة التى جعلته يشعر بأنه وُلد من جديد .

قالت تريسا : ولم لا نذهب معاً الآن، سأبقى فى كوخ جدتك كأننى أختك حتى ينتهى كل شىء .

لم يجد سبباً يقوله سوى أنه يريد أن يجهز المنزل وينظفللهالكوخ وربما ينظم حفلة يدعو فيها الاصدقاء والعائلة .

قالت تريسا : لا .. لابد أن هناك سبباً آخر لا تريد ان تخبرنى به فربما تشعر بالخجل منىللهتريد وقتاً كافياً لقول بعض الأكاشرب عنى أولاً .

ابتعدت عنه بغضب غي]<مصدقة لما قالت لكن غضبها جعله يق﴿ ف : حسناً أستطيع أن أخبرك بكل شىءٍإن والدى يموت ببطء وربما مات فعلاً، إن من يفعل أشياء سيئة فى حياته يموت ببطء كما يقولون، إن أبى لم يعش حياته جيداً وأنا أريد لك أن تأتى بعد انتهاء كل شىء .

- أوه يا حبيبى، إنها المرة الأولى منذ وفاة أمى التى يرغب فيها شخص ما فى حمايتى لكننى أرفض هذه الحماية إذ ينبغى أن أذهب معك الآن وأقف بجانبك وأشاركك الحزن لأنه أيضاً

بمثابة أبى . . أرجوك اسمح لى بذلك لأننى حين قلت بأننى سوف أغسل قدميك كل يوم لم أكن أعنى غسلهما بالماء فقط .

ارتمت بين أحضانه مرة أخرى لكن تانيا ابتعد عنها ثم نهض وقال آمراً وبدون إحساس بالمرارة : لا . . سوف تقيمين عند جيمس حتى تنتهى الجنازة ومراسم العزاء ثم أرسل فى طلبك لنتزوج .

انتهى من كلامه وبدأ يتجه غرباً نحو البيت .

سارت تريسا خلفه وهى تدندن بأغنية قديمة عن رجل كان سعيداً وحتى لايفسد أحد سعادته كان يصعد إلى الشجرة ويجلس فوق أحد فروعها طوال اليوم إلى أن تتبدد سعادته فينزل مرة أخرى ليجمع ما يكفيه من السعادة فيعاود الصعود إلى الشجرة . ظلت تريسا تغنى برقة عن العناية بشجرتها الصغيرة الجميلة ورشها بالماء كل يوم حتى تكبر وعندئذ يمكن أن تسميها شجرة السعادة وتستطيع أن تتسلقها كلما كانت سعيدة .

ضحك تانيا وفكر : إنها ستصبح امرأة عجوز قبل أن تكبر .

قالت له : ماذا يحدث للرجل لو أن شخصاً ما قطع الشجرة ؟

ضحك كلاهما ثم أجاب تانيا : لا أعرف لكنه ربما يجلس ويصرخ حتى تتبدد سعادته .

شد كلاهما الآخر من خصره وواصلا الضحك .

ساد الظلام لكنه كان من اليسير رؤية الممر الضيق المتعرج المؤدى للهدف الذى لم يكن لديهما ما يكفى من الصبر

للوصول إليه.. كانت يمامة الليل تغنى والجنادب تحوم حول المكان وهي تجلب الضجيج وسط العشب الجاف وكان ولدان من الرعاة يودعان بعضهما عبر الأودية وصوت بقرة كانت تخور.

كانت كاشا وانجا هادئة وجميلة في تلك الليلة وراحت تريسا تغنى مع الطيور والجنادب متقدمة بالشكر للإله فطرب تانيا من صوتها وتمنى أن تواصل غناءها وحديثها دون الاهتمام بما تقوله فقد كان مهتماً بصوتها فقط الذى جعله يكتشف مملكة الإحساس بداخله والذى ارتوى به قلبه الجاف.

ظل يتتبع صوتها وكأن الآلهة كانوا يشيرون إليه قائلين: سافر.. سافر إلى جحيم كاشا وانجا عبر الوديان!!

ها أنذا أسألك أيها القارىء: هل يعد ذلك غريباً وهل ثمة اختلاف بين حب الرجل لامرأة وحبه للإله؟.. إن كليهما نتيجة للضعف وعظمة الإنسان.. أليس كذلك؟

قال تانيا: من المحتمل أن الطيور تغنى لبعضها البعض أو من أجل أن تنام طيورها الصغيرة وربما لتمجيد من يحبون وليس شكراً للإله.

كان خائفاً أن تتوقف تريسا عن الكلام لكنها قالت: أخبرتنى أمى ذات يوم أن كل شىء فى الحياة حقيقياً كان أم طيباً إنما هو شكر للإله ولست أدرى حتى الآن معنى كلامها.

كان الظلام قد اكتمل تماما حين وصلا إلى بيت جيمس وكان تانيا سعيداً للغاية وفكر أن يجعل جيمس ينسى ما حدث فى الليلة الماضية.. فتح الباب بهدوء وكانت تريسا تنتظر بالخارج

فى الظلام فظهر جيمس جالساً برأسه فوق المائدة وضوء الفانوس المنخفض يرسم ظلالاً كغروب الشمس.

كان جيمس يبكى فقال تانيا لنفسه : أوه .. يا إلهى، وأنت أيضاً تبكى !!

ثم اقترب من جيمس وتناول منديله الأبيض قائلاً : بول، جيمس، بول، صديقى.

لم يكن تانيا يعرف السبب فى بكاء جيمس فراح يجفف دموعه بالمنديل ويتساءل : أى نوع من الحزن ذلك الذى ينتابه؟ هل ماتت أمه أم أنه فقد وظيفته؟ هل يشعر بالضياع والوحدة بين ملفات الحكومة ؟ أم أنه اكتشف أنه حلقة مغلقة فى سلسلة غير مرئية تربط كاشاوانجا بملفاته ؟ هل لأنه يقوم بتنفيذ مالا يوافق عليه ؟ هل لأنه اكتشف عجزه ؟

هكذا تساءل تانيا وهو يضع ذراعه فوق كتف جيمس، جلس إلى جواره ولم يقل شيئاً.

خافت تريسا من الظلام ففتحت الباب ببطء ووقفت تنظر إلى الرجلين اللذين لم يشعرا بها.

قال جيمس وهو يبكى كالأطفال : بارانيا، ماذا سأفعل ؟

كانت رأسه مستندة إلى المائدة وكان يبكى فلم يستطع تانيا أن يسمعه بوضوح فكرر جيمس : ماذا بوسعى أن أفعل بعد أن فقدت وظيفتى، قالوا إن الإنتاج لا يتزايد فى قريتى وإن الناس لا يزرعون ما يكفى من الذرة والقطن وقالوا أيضاً إن سياستى.....

بدأ في البكاء مرة أخرى .

كان فضول تريسا قد غلبها ولم تعد قادرة على عدم التدخل فتقدمت ووضعت يديها الجميلتين القذرتين فوق كتف جيمس الذى اعتقد أنه تانيا وحين شعر بنعومة اليدين والصدر الحاد الملامس لظهره نظر إليها فقال تانيا : إنها صديقتى .

جفف جيمس دموعه ورسم على وجهه ملامح الموظف الحكومى التى لم يعد له الحق فيها وقال : إنه لشيء جميل أن تزورانى فهل أقدم لكما بعض الويسكى ؟ كدت أقتل نفسى بالأمس حين أخبرنى رئيسى ، هل تشاهدان ذلك العصا الحاد كالدبوس ، لقد قمت بتثبيته فى الأرض ثم أغلقت عينى وفكرت أن أجرى وأسقط عليه .. حاولت ذلك ثلاث مرات لكن شيئاً لم يحدث .

صفق بيديه فى يأس مستطرداً : كنت خائفاً فلم أستطع .. لقد تحولت بالتعليم والوظيفة إلى امرأة حتى إننى لم أستطع مساعدة عائلة الرجل التى تتضور جوعاً لأن رئيسى أمرنى ألا أفعل وقال : أفضل له أن يموت بدلاً من الخجل الذى ينتابه وهو يرى أولاده يموتون من الجوع .

قال لى الرجل إنه سينتحر ولم أصدقه لكننى فى اليوم التالى وجدته معلقاً فى الشجرة أما أنا فلم أستطع أن أفعل ذلك يا بارانيا .. لم أستطع !! ثم تناولت كل نقودى وتوجهت إلى الدكان الهندى فى جنوب كاشاوانجا واشتريت زجاجة الويسكى فلقد شعرت برغبة شديدة لأن أصبح مخموراً وحين

عـدت ظللـت جـالـسـاً فـى هذه الحـجـرة دون أن أقـدر على لمس الزجاجـة ولسـت أدرى السـبب غـيـر أننى لم أسـتـطع أن أشـربـهـا وقـدمت بعـضـاً منـهـا إلى أمى دون أن أخـبـرها أنهـم فـصلونى من العمل لكنهـا رفضـت متـعللة بأنها لا تـشـرب شـيـئاً أوروبيـاً وأنـهـا لن تفعل وإذن دعـونى أقدم لكمـا هذا الويـسكى إذ ربما أسـتطيع معكما أن أشرب قليلاً منه . . أرجوكما .

أشارا برأسيهما بالموافقة .

لم تكـن تريـسـا قـد شـربت الويـسكى من قـبل فـفـزعت ثم أضاف إليه ماء وتناولته فشعرت بمذاق عصارة الموز الذى شربته ذات مرة فى موسم الجفاف والجوع .

جلس جيـمس فوق مقـعد خشـبى قديم وكأسـه بين يديه وكان ينظر إلى تانيا وتريسا وكأنه يرجوهما مرة أخرى أن يشربا .

قال تانيا : هيا اشرب يا عزيزى

تناول جـيـمس كـأسـه فى جرعـة واحـدة ثم بصـق المرارة التى علقت بفـمـه فوق الأرض الأسـمنتـيـة وراح يصـب لنفسـه كـأسـاً أخرى وهو يقول لتـريسـا بكـرم : إليك بالمزيد ثم قال لتـانيا : ما اسمها يا بارانيا ؟

قالت هى : تريسا

ثم هزت رأسـهـا مـشيرة إلى الزجاجة وقـالت : ستتـناول المزيد يابارانيا . . أليس كذلك ؟

قدم بارانيا كـأسه فى صـمت وتناول جيـمس كـأسـاً أخرى ثم تلاها بأخرى وكان كلٌ من تانيا وتريسا ينظران إليه بارتياب . .

كانت تريسا ترمقه بنظراتها من ركن عينيها وتقوم بترتيب الملفات والأوراق المبعثرة فوق المكتب بينما يقلب تانيا الويسكي في فمه قبل ابتلاعه وهو يراقب جيمس وكأنه طفل يلعب بالموسى .

لعب الويسكي برأس جيمس الذى قال : قد تعتقد يابارانيا أن ذلك غباء لكن الحياة خادعة وملعونة ، نعم هى كذلك .

كان منفعلاً فقام بتكسير الكأس بما فيها إلى قطع صغيرة فوق الأرض واستطرد : لقد ذهبت للمدرسة ودرست بجد على أمل أن أساعد الناس فى يوم ما ، كان لابد من مساعدتهم حتى أكون أميناً مع نفسى ولذلك أصبحت مسيحياً لأنهم عملونا فى المدرسة أنه من اليسير أن أكون أميناً وشريفاً عندما تكون لك ديانة ، اعتقدت وصدقت فيما عملونا إياه وظللت أعمل ليلاً ونهاراً فى الملفات والتقارير وتحدثت مع أهل قريتنا عن كيفية عمل هذا وذاك وكانت الأمور تسير على ما يرام حتى غيرت الحكومة من سياستها فاعترض الناس لكننى تخيلت أن ذلك مجرد ضغط مؤقت ، لا . . لم يكن مؤقتاً فتوالت الأحداث تلو الأخرى حتى فصلونى وإننى لأتساءل الآن كيف وأين بدأ كل شيء .

تناول الزجاجة نفسها وراح يشرب منها ثم أضاف : لقد صليت كثيراً وعملت بجدية أكثر وكنت أثق فى الحكومة وحكمتها فوقفت إلى جانبها لكننى فى الحقيقة كنت أقدم التنازلات حتى جاء اليوم الذى علق فيه ذلك الرجل نفسه فى

الشجرة ومن هنا بدأت تجتاحنى الكوابيس ولم أعد قادراً على النوم فقد كان يرمقنى بنظراته وأنا نائم وأذكر أنه قال لى فى أحد الكوابيس أننى والحكومة لن ننساه أبداً ثم سألنى عن الفائز والرابح .. هل هو أم أنا !! .. ركعت وصليت كى يسامحنى ويغفر لى لكن الكابوس كان قد انتهى فأضأت المصباح وتساءلت عن الرابح الذى من المحتمل أنه ليس أنا لكن الحكومة لا تعانى من الكوابيس فقررت أن أكون ما كان يجب أن أكونه منذ البداية، رجلاً أولاً ثم موظف حكومة ثانياً فسارعت بالكتابة إلى رؤسائى وأخبرتهم أنهم مخطئون .

تناول جرعة كبيرة من الزجاجة التى فرغت إلى نصفها ثم ضحك قائلاً : أنا الآن رجل ولست أى شىء آخر ولأننى كذلك يجب أن أقتل نفسى لكن رجولتى ليست كافية لقتل نفسى وهذا ما أعنيه بأن الحياة خادعة وملعونة .

حاول أن يشرب مرة أخرى لكن تانيا أزاح الزجاجة عنه فقالا جيمس : دعها يا بارانيا .

قالت تريسا : إننى مجرد فتاة صغيرة و ....

قاطعها جيمس وهو يضحك فى لحظة خلاص وقتية : ها .. ها .. أنت فتاة صغيرة ؟! تجاهلت تريسا مقاطعته وقالت : إننى لست سوى فتاة صغيرةلكننى عانيت كثيراً ولهذا أعرف بعض الأشياء القليلة فأنا أيضاً حاولت أن أقتل نفسى ذات مرة حين أساء لى أحد الرجال فجأة قررت ألا أفعل ليس خوفاً منى ولكن لأننى تذكرت ما قالته أمي بأن الحياة بكل مساوئها أفضل دائماً

من الموت، من الحماقة أن يصاب المرء باليأس ويقتل نفسه إذا ما أبصر جفاف الأعضاب، لقد كنت أرتعش حتى الأمس من حياتى ومن الفراغ الذى يملؤنى وحين نظرت إلى غروب الشمس شعرت بحياتى تغرب معها مثل دجاجة تموت قبل أن تقفس أما اليوم فإن المطر يتساقط فى قلبى .

وضع تانيا ذراعيه حولها قائلاً : ولن يتوقف المطر أبداً .

لم تتجاهل المقاطعة هذه المرة ووضعت ذراعها حوله واستطردت بجدية دون أن تزيح نظراتها عن جيمس : لو أننى حمقاء لما كنت هنا اليوم ولما سمعت الطيور وهى تسبح للإله، إن الرجل الذى يقتل نفسه قد يكون رابحاً ولكن من يكون الخاسر فى مثل حالتك؟ لا .. إن ثمة إنتصاراً ينشأ من الهزيمة

كان الرجلان يحدقان فيها بصمت وهى تتكلم وشعر تانيا وهو يسمع صوتها أنه يمشى معها مرة ثانية فى الممر المؤدى للغرب أما جيمس فقد أيقظه كلامها وأصابته الدهشة من خبرتها وحكمتها الواضحة .

كانت تريسا بارعة فى ممارسة دور الأم والإله بالنسبة لكثير من الناس منذ أن كانت طفلة صغيرة وكانت تقول كلاماً يفيد الناس ودائماً ما كانت تحاول - دون يأس - أن تشرق الشمس فى قلبها مرة أخرى .. كانت تتابع الضوء والدفء المتولد منه وتعانى من رعشة التوقع .

شعرت تريسا بالانتصار ولم يحرك جيمس عينيه عنها حين قال : إنكما فى حالة حب .

- نعم وسنتزوج قريباً .
- أنت رجل محظوظ يابارانيا فمن الصعب على رجل أن يتزوج امرأة طيبة وحكيمة .

ابتسمت تريسا وقال تانيا : نعم . كما قلت إذ لا يجب على المرء أبداً أن يغلق باب الأمل وعليه ألا يتوقف عن التطلع إلى السعادة والحب فقد يكون فقدك لوظيفتك هو مايجعلك تملك الوقت للبحث عن نفسك مثلما يحدق الأسد في نفسه عندما تهرب منه الفريسة .

تقدمت تريسا نحو تانيا وقالت وهي تدلك كتفه برقة : سوف نتزوج ولن نصبح أغنياء لكننا لن نجوع سوف نصبح عائلة ترسل أطفالها إلى المدرسة . . سأكون فتاة طيبة من كاشا وانجا تتمتع بالصحة ، لن أكون كالفتيات اللاتي يمسحن الأحذية البيضاء من التراب وإنما سأعمل بالفأس من شروق الشمس إلى غروبها وأربي أطفالك وأسهر على سعادتك .

تحسست خده برقة وكانت تعني ما تقول عن كيفية أن يكون الرجل سعيداً ، أبصرت زجاجة زيت صغيرة تحت سرير جيمس في الحجرة الأخرى فأفرغتها في خزان المصباح .

قال جيمس بعد تأمل طويل : أنت على حق يا تريسا لأن ما أحتاجه فعلاً هو امرأة تعزيني وتكون سنداً لي .

كانت تريسا مشغولة بالمصباح فلم تسمع ما قاله ولم تكن تريد أن تسمع بعد أن عرفت تأثير كلماتها .

قال تانيا : أريد أن تبقى تريسا هنا يا جيمس ، أريد أن تبقى

معك حتى أدبر أمورى فى البيت .

- وهل تثق بى إلى هذه الدرجة ؟

- لا وإنما أثق بها هى .

وقالت تريسا : يجب أن تثق به أكثر لأنك تعرفه منذ زمن بعيد .

- طبعاً أثق به لكننى كنت أضحك فقط .

- طبعاً بارانيا ، ويوجد سرير خشبى أخشى ألا يكون مريحاً ولكن ألا تعتقد أن الناس سيتكلمون ؟

قالت تريسا : سأبقى فى كوخ أمك يا تانيا وأقوم بمساعدتها فى الحصول على الماء وفى الطهى والأعمال اليومية الأخرى .

- لا . . لا . . إن بقاءك معها سيجعلها تتذكر عدم إنجابها لطفلة أخرى . لم تكن تريسا تقبل الهزيمة أبداً فقالت : أنت مخطىء يا بارانيا . . هل يحق لى أن أدعوك بارانيا أيضاً ؟

- إن النساء لا يستخدمن ألقاب الرجال لكننى لا أمانع .

- شكراً وأكرر بأنك مخطىء لأننى سأجعلها تفكر فى زوجة لابنها .

قال جيمس : حسناً ، سوف أصحبكما إليها وأشرح لها كل شىء فهى امرأة متفهمة جداً .

قال تانيا : وإلى الغد سأترككما تدبران أموركما فينبغى أن أذهب للبيت لئلا يساورهم مزيد من القلق وأعتقد أننى لست فى حاجة لذلك العصا الحاد كالدبوس وتلك الزجاجة . . أليس كذلك ؟

- قد أكون أحمق لكنني لست معتوهاً أو مجنوناً كما أن لى أصدقائى وكل ما فى الأمر أننى كنت أحس بتعب شديد.. إنك لم تأت لرؤيتى.. أنت غشاش .

قال تانيا وهو يهز ذراعيه ويختفى فى الظلام ويصفر بفمه :

حتى الغد تصبحون على خير .

كان قد نسى تماماً أبيه وكل ماحدث له ذلك المساء .

(٨)

عندما عاد تانيا للبيت كان أبوه فى حالة سيئة فقالت أمه توبخـه : إن أباك يوشك على الموت وأنت بالخارج طوال هذا الوقت ، فى أيامى . . . . . .

قاطعها تانيا قائلاً : لقد ذهبت إلى المقبرة .

- إن السحلية تترك موتاها دائماً وتذهب للعزاء فى موتى الآخرين .

قال تانيا وقد فقد رشده : وهل كان بوسعى عمل شىء لو بقيت هنا ؟ . . أخبرينى . . هل كان باستطاعتى إنقاذه ؟

قالت أونيا : أتوسل إليكما فالموقف الآن لا يحتمل أن تتعاركا ، وأنت يا جدتى تشعرين بالتعب فهيا اذهبى لتنامى .

قالت الجدة وهى تتحسس طريقها خارج الكوخ : نعم يا ابنتي فإنه من الصعب على من هم فى مثل عمرى . .

تبعتها أونيا وقد لاحظ تانيا شعورها البارد نحوه هذه الليلة فهى لم تتحسس كتفه عندما أحضرت له الطعام كما أنها خرجت دون أن تبادله تحية المساء .

رقد تانيا إلى جوار أبيه فوق السرير دون أن يلمسه لكنه لم

يستطع أن ينام لأنه كان وحيداً في الكوخ مع أبيه المريض وراح يفكر في أحداث الليلة الماضية حتى أصبح مشدوداً كحبل الغسيل وهو يتذكر حبه لتلك المرأة .

انطفأ موقد الكيروسين ولم يشأ أن يشعله رغم اقتراب زجاجة الكيروسين منه وظل يحدق في الفتيلة ويفكر : إن الرجل الذي يستيقظ متثائباً في الصباح ويريد أن ينام مرة أخرى هو في الحقيقة نفس الرجل الذي يعرق في الحقل أثناء الظهيرة أو نفس الرجل الذي يمارس الحب بالليل ، ثمة حلقة تربط الأيام ببعضها فهل من الممكن أن تكون هناك حلقة بين تلك المرأة التي سأتزوجها وبين أبي الذي يموت والذي قد لا يكون أبي على الإطلاق ؟ .. وهل انجذابي نحو تلك المرأة ليس إلا مجرد نشوة أو ذهول وهل هو رد فعل طبيعي لكل معاناتي في هذا العالم الذي رفض مصافحتي ؟

رأى تريسا في حلمه وهي تسير معه نحو الغرب ولم يكن هو سوى ولد صغير بينما هي فتاة كبيرة وكانت أصوات الحيوانات الكثيرة تتخلل ظلام حلمه ، خيل إليه أنه يسمع صوت أحد أصدقائه الذي يريد أن يبلغه رسالة فحاول أن يتراجع لكن تريسا قالت له : إذا رجعت سوف يأكلك النمر أو أحد الحيوانات المفترسة ، علينا أن نسارع في اتجاه المنزل قبل أن نتأخر .

اعترض تانيا : لكن بيتي ليس في هذا الاتجاه .

تبعته تريسا وأمسكت يده وهي تسير معه في اتجاه الغرب

لفترة قصيرة فقط لكنه عندما نظر إليها عرف أنها ليست تريسا وإنما امرأة غريبة سرعان ما اختفت فى الهواء كما اختفى الجن الشرير فى إحدى الحكايات التى روتها له جدته ذات يوم فوقف فى مكانه مشتتاً حتى لم يعد يسمع صوت صديقه الغريب وعند هذا الحد تراجع حلمه وراح فى نوم عميق.

استيقظ تانيا قبل الفجر ولم يسعفه الوقت لتفسير حلمه فقد كانت يد أبيه تستقر فوق صدره، حاول أن يبدو هادئاً أمام موت أبيه فلم يتألم لكنه أمسك يد أبيه بهدوء ووضعها فوق جسده حتى يبدو كصور المومياوات المصرية القديمة .

وقف تانيا خلف الكوخ فى مواجهة الغرب يحدق فى كرة الشمس الحمراء وما هى إلا لحظات حتى أشرقت الشمس ببطء فانحنى تانيا على الكوخ كمن يخاطب أحد الأصدقاء .

كان يفكر فى كيفية دفن أبيه وقد تحرر من أرق الانتظار وشعر بالحرية .

(٩)

إن الموت فى كاشا وانجا كالهجرة إلى قرية أخرى ولكن بدون عودة أو كأنه حفل وداع أخير إلى قرية أخرى تعد مصيراً نهائياً لكل شخص .

كان تانيا يفكر فى مراسم الجنازة وكيفية دعوة كبار القرية للعزاء وعن الوقت الذى يذبح فيه البقرة وهو لايزال يحدق فى شروق الشمس وقد شعر بأن خطأ مافى شروق الشمس التى كانت ترتعش فى الصين على غير العادة وكأنها شخص فقد رشده .

دخلت جدته الكوخ وأبصرت ابنها ميتاً فعادت مسرعة وهى تشق سترتها وتبلغ رسالتها بالصراخ عبر الوادى ثم ظلت ترقص حول المكان وتستجدى دموعها المخزونة.. كانت بطنها تتحرك إلى أعلى وأسفل وكأنها حامل توشك على الولادة، ركعت فى اتجاه الغرب وقالت بهدوء: خذه.. خذه فأنت لم تسمح له أبداً بالراحة.. خذه فأنت شخص جائع .. لقد سرقت لبنى لأننى امرأة عجوز وضعيفة .

شدت صدرها بيدها وصبت فيه الرمال باليد الأخرى ثم

استطردت : خذه فأنت لم تعرف أبداً مدى ألمي وأنا أقشر الموز النيىء للطفل لأن أثدائي كانت جافة .

كان تانيا واقفاً إلى جوارها فركع بجانبها وراح يساعدها فى تلطيخ جسدها المرتجف بالرمال فأصبحت تشد أثداءها بيديها الاثنتين .

ذهبت أونيا مع الصغار إلي بيت ميريشو وكانت تمسح دموعها بظهر يدها وتردد قليلاً : مام .. مام !

سألها الأخ الأصغر : إلى أين نحن ذاهبون ؟

فأجابت أونيا : سوف تبقى فى بيت ميريشو بعض الوقت لأن جدنا ذهب فى رحلة وسيزورنا كثير من الناس .

- وهل ذلك هو السبب فى بكائك ؟
- نعم خاصة وأننا لا نملك طعاماً لهم .
- يمكننا ذبح البقرة « كيبيا » لهم .
- أعتقد أننا مضطرون لذلك .

انطلق بكاء الأم وعويلها عبر الوادى حتى لم يعد من اليسير سماع غناء الطيور رغم أن ابنها لم يكن محترماً أو محبوباً بما يكفى فى كاشا وانجا ولكن كان له أولاد وبنات مما جعل الناس تشارك الأم بكاءها كى لا يموت أولادهم فانتشر البكاء من منزل إلى آخر منذ الصباح الباكر كل يبكى على حاله .. كانت بعض النساء يرضعن أطفالهن وبعضهن يلقى البطاطين الممزقة فوق أكتافهن كى لا تتعرض أثدائهن للعرى وكن يرقصن جيئة وذهاباً بإيقاعات غير منتظمة وهن يتقدمن خطوات قليلة

للأمــام ثم خطوة واحــدة للخلف وبين ذلك الحــشـد من النســاء كانت تريسا تمسح عينيها من النوم غير قادرة على مشاركتهن الرقص .

فزع الأطفال من نومهم وراحوا يحدقون فى الرجال والنساء بأفواه مفتوحة كما يحدث كثيراً فى كاشا وانجا حيث لا يخبرون الأطفــال بما يحــدث ولايســمــحــون لهم بمغــادرة بيــوتهم. كــان الأصدقاء فى المقدمة يتبعون النساء وكانت دموعهم مترسبة فوق رموشهم وشواربهم وكانوا يبصقون مرارة نشوق الليل القديم.

كـانت تريسـا تندفع بين النسـاء اللاتى يتحـركن ببطء كى تصل إلى حبيبها وكذلك حاول جيمس أن يشق طريقه وسط حـشـد الرجـال حتى أصبح كـلاهمـا قـريبـاً من الآخـر حين بدأ الرجال والنسـاء يغنون أغنيـة الموت التى يعـرفـها جـمـيع أهل كاشا وانجا.

الرجال : سمعت أن بيت أخى يحترق .

النساء : إيه . . إيه .

الرجال : ماذا نفعل حين يحترق بيت أخ لنا ؟

النساء : نسارع بالمساعدة .

الرجال : ولكن الماء لا يوجد لإطفاء الحريق.

النساء : إيه . . إيه .

الرجال : ماذا نفعل عندما يحترق بيت الأخ ونحن لا نملك الماء؟

الرجال والنساء : نبكى معه ونطفىء الحريق بدموعنا.

ظلوا يرددون أغنية الموت هذه كثيراً دون أن يتوقفوا عن البكاء بينما تريسا تجاهد في طريقها دون الالتزام بإيقاع أو خطوات الناس على العكس من جيمس الذى كان يتحرك معهم بإيقاع وهو يردد كلمات الأغنية التى يعرفها منذ وقت طويل ولكنه لم يفكر فيها من قبل .

كان تانيا يضع جدته فوق حجره عندما وصلوا إلى المقبرة فاندفعت تريسا وركعت أمامه بينما كانت أونيا تزيل التراب من أنف العجوز المرتعشة ومن فوق حواجبها ، وبعد العودة إلى الكوخ أصبح عدد كبير من شباب كاشا وانجا يحيطون المكان وقد انسحب الصغار إلى الخلف وواصلت الأم بكاءها وكانت بعض النساء بطلقن الصرخات من وقت لآخر تأثراً بالموقف أو تذكراً لوفاة رجل ما وربما كن يفكرن فى أولادهن وكبر أعمارهن ، كان غالبية الرجال واقفين يعضون شفاهم أو يعلقون رؤوسهم وقليل من الأقرباء والأصدقاء كانوا يسكبون دموعهم فوق الأرض العطشى .

أشرقت الشمس من ارتفاع كبير في السماء حتى أصبح ظل الإنسان فى اتجاه الغرب يعادل طوله تماماً وكان الصبية والغرباء قد أصابهم الملل فتعبثر بعضهم وجلس آخرون فى الشمس انتظاراً لبداية الطقوس التى يقوم بها ميلا كبير القرية ذو العظام القليلة الواضحة في جسده .

مشى ميلا للأمام قليلاً فى اتجاه الأم وبعد أن تنحنح راح يردد ما قاله أكثر من مليون مرة فى مثل هذه المناسبات : (الأمهات

العجائز . . لقد بكت كل واحدة منكن بما يكفي وإذن فلتتركن الباقي لنا لأن شجرة البامبو العجوز ليست بها عصارة نبات كافية كما أن البكاء يزعج الموتى الذين ذهبوا دون أن يخبرونا . . يجب أن نذرف الدموع بعين واحدة وننظر إلى بركاتنا بالعين الأخرى . . إنه لم يمت ولكنه عبر الوادى إلى الجانب الآخر بحثاً عن دفء الشمس . . إنه ينظر إلينا كلما غربت الشمس وهم هناك يملكون الفرصة للبدء من جديد وسوف نندهش جميعاً عندما نذهب إلى هناك إذ ربما نجده رئيسا فيما وراء الليل والنهار فلا تبكى أيتها الأم الطيبة وكفى أيها الأولاد لأننا جميعاً سنموت)

أصبح الجو حاراً فأمسك ميلا بذراع المرأة العجوز وقادها إلى الظل وكانت البنات والقريبات قد شعرن بالكآبة والإرهاق ورحن يتبعن أونيا وهى تحمل قرعة من الماء ثم اختفى الناس واحداً بعد الآخر وظل الشباب فى الخلف انتظاراً لما سيقومون به من عمل .

عرف تانيا مسئوليته الجديدة والتى يجب أن يكون كفؤا لها بصفته كبير العائلة وبعد أن ذهب الناس توجه مع موجيا وجيمس وميلا إلى مكان محدد خلف الكوخ ثم راح ينظر إلى الشمس ويفكر فى أحداث اليوم . . تبادلوا الحوار حول ما يجب عمله ثم أخبروا الشباب المنتظر بما سيفعلون .

(١٠)

تعبت النساء من كثرة البكاء ولم تكن تريسا موجودة بينهن فاعتقد تانيا أنها ذهبت لتخفف عن نفسها .

شعرت الأم به عندما عبر أمامها فسألته : هل كل شيء كما ينبغي ؟

أجابها تانيا : كل شيء كما ينبغي يا أم الناس .

ثم عاد إلى ميلا والآخرين بينما كانت تريسا في طريقها إلى منزل ماريا بعد أن تذكرت أنها لم تأخذ نصيبها من النقود التى حصلت عليها من ذلك الرجل الذى أساء إليها وكانت تفكر بأنهم يدفنون القادرين فى صناديق خشبية وأن ماريا سوف تعطيها النقود وعندئذ تستطيع شراء بعض الأخشاب وتقدمها إلى جيمس بدون أن يعرف تانيا .

ترددت تريسا بشأن عمل صندوق الميت من تلك النقود الملوثة لكنها قالت لنفسها : إن هذا الموت أيضاً ملوث ومرير بما يكفى وليس ثمة خطأ فى امتزاج التلوث بالتلوث .

طرقت الباب عدة مرات حتى تأكدت من عدم وجود ماريا فعادت وهى تشعر بالاضطراب وخيبة الأمل وفى طريق عودتها

كانت سيارة ماتعبر الطريق القذر فامتلأت بالتراب ثم عرفت أنه نفس الرجل الذى أساء إليها فى بيت ماريا ودفع كثيراً من النقود.. شعرت بالرغبة فى القىء لكن معدتها كانت فارغة .

– لم أدفع لك ما يكفى فى المرة السابقة .

– هيه .

– أنت جميلة جداً ولكن يجب أن تعتنى بنظافتك وتبتعدى عن أولئك المتسولين الحفاة .

– نعم لكنه حظى ونصيبى ..

– ربما أشترى لك فستاناً جميلاً وصابوناً معطراً فى المرة القادمة كالنساء الأوربيات وعندئذ سوف أحتفظ بك لنفسى ولن أتردد فى إطلاق النار على من يحاول أن يلمسك .

– هيه .

– سأعود الليلة وها هى بعض النقود لتشترى الصابون وتغتسلى جيداً .

– هه .

ألقى بعشرين شلناً بين أثدائها ومضى فى طريقه فشعرت تريسا بالتعب وكادت تسقط من الإغماء ثم جلست هى ملطخة بالتراب تبكى وتضرب الأرض الساخنة مرة تلو الأخرى وبدت كالوحش وهى تلعن ذلك المخلوق المغرور السافل وتبصق على سيارته وعلى كل شىء .

كانت الشمس تبدو مثل كرة من النار يصعب النظر إليها ولم تكن فى السماء نقطة سحاب واحدة .. نهضت تريسا

ببطء كالثعبان المريض فسقطت النقود الزرقاء على الأرض وشعرت أنها عجوز وتمنت لو تنظر إلى وجهها فى المرآة ثم سارت بضع خطوات لكنها توقفت وعارت تلتقط النقود.

توجهت ناحية الغرب وتطلعت إلى الأفق حيث زرقة السماء اللازوروية تعانق لون لتلال الأزرق الضبابى ثم ألقت برأسها وذراعيها فى اتجاه الشمس وقالت : ماذا فعلت لكل هذا؟ هل قتلت ابنك ؟

كانت ورشة النجارة عند النهاية الشمالية للقرية حيث التلال تحيط كاشا وانجا وكانت قطع الخشب مختلفة الأشكال التى أحضروا بعضها من قرى أخرى.. كانت بعض الأخشاب مستخدمة يغطيها الطين والبعض الآخر متآكل يتخلله النمل الأبيض . إقتربت تريسا وكان النجار جالساً فوق مقعد ذى مسندين يتناول غذاءه من طاسة خشبية كبيرة مع مساعديه .

كان النجار فى منتصف العمر يتدلى شعره فوق وجهه غير الحليق وكانت له شفتان كبيرتان كالخنزير ويرتدى قميصاً بدون أزرار يبين عضلات صدره القوية .

- السلام عليكم .

- السلام عليك أيتها الخطيبة ويمكننى القول إن العروس التى تبحث عن صندوق الزفاف ليست سيئة الحظ .

ضحك المساعدون وكانت هذه هى الجملة الثانية التى يقولها النجار دائماً لعملائه من النساء لكن تريسا اختارت الصمت وأفسح لها المساعدون مكانا تشاركهم الطعام فجلست تريسا

على الأرض وبدأت تتناول الطعام بأصابعها القذرة وتصب الشوربة فى الطاسة .

– إننى أفهم أحبابنا فالمرء حين يكون منفعلاً وبخاصة قبل الزواج فإن معدته تتحرك كثيراً . أضاف النجار وهو يضحك : إنه وسيم وغنى ذلك الشاب الذى ستتزوجينه . . أليس كذلك ؟ لم تملك تريسا فرصتها فى الإجابة حين استطرد بسرعة : يجب أن يكون كذلك فهؤلاء مثلاً أبنائى وكما تعرفين فإن الأبناء يرثون الآباء فى كل شىء ، وأنا كما ترين لست وسيماً ولست ذكياً أيضاً ولو أنه كانت توجد مدارس فى أيامى لأصبحت ضابطاً ولو أن أولادى يملكون قدراً من الوسامة والمال لتزوجوا سيدة لطيفة مثلك ، لكنهم لو تزوجوا امرأة دميمة مثل أمهم لأصبح أولادهم أسوأ منهم ، إن المرء كما تعرفين لايستطيع أن يحتفظ بالخط مستقيماً فترة طويلة وحتى عند قطع الخشب فإن الخط ينحنى بطريقة أو أخرى فما بالك وخط عائلتنا ينحنى منذ مدة طويلة .

بدأ يضحك ولم تكن تريسا تسمع .

قال أصغر المساعدين والذى يبلغ الثانية عشر من عمره : أعتقد يا أبى أن ما قلته لا يبعث على الضحك إلى هذا الحد .

أنت لا تستطيع أن تفهم الأشياء المضحكة لأن رأسك مصنوعة من الخشب .

ضحك المساعدون الاخرون وقال النجار : أخبرينا عن الرجل الذى ستتزوجينه .

أجابت تريسا ببرود : إننى أريد الخشب لأصنع منه تابوت والده تساقط الطعام من بعض المساعدين وفتح آخرون أفواههم كالتماسيح بينما علق النجار رأسه وقال : إننى آسف يا ابنتى فأنا كما قالت لى زوجتى كثيراً أملك فماً كبيراً جداً لكننى دائماً كنت أرد عليها بأن أردافها أيضاً كبيرة جداً .. أنا لا أعرف ماذا أقول لك لكن الإنسان أحياناً يخاطر بالكلام .. إننى آسف جداً .

تأثرت تريسا وقالت : أنت لم تخطىء .

كانت الطريقة التى تحدث بها عن زوجته توحى أنه فقدها ولابد أنه يفتقد أردافها الآن .

رفع يد تريسا وقادها إلى الجانب الآخر حيث الأثاث المتكوم عند الركن وراحت تريسا تختلس النظر إلى صناديق الملابس المتكومة فوق بعضها والتى يغطيها الفحم .

كان أصغر المساعدين يتبعهما فقال وهو يجفف فمه : إننى آسف .. إن كلمة «مرفوض» كانت مكتوبة هنا .

سألت تريسا النجار عما يعنيه الولد فقال النجار : رفض شاب ما أن يشترى لعروسه صندوق الملابس فهجرته الفتاة وتزوجت من رجل عجوز اشترى لها الصندوق ثم عاد الشاب وطلب من النجار أن يصنع له مجموعة من صناديق الملابس كل واحد منها أكبر من الآخر وتم إرسالهم لهذه الفتاة كاعتذار لكنها أعادتهم جميعاً .

قالت تريسا : أنا لا أملك نقوداً كافية للصندوق لكننى

سأزرع بقولاً كافية فى الموسم القادم وعندئذ يمكننى أن أدفع لك .

أجاب النجار : لابد أنك تعتقدين أننى شخص فظيع ! ! لم تكن النساء فى أيامنا تقلق بشأن دفن آباء أو أمهات أزواجهن لكن العالم اليوم يسير على أذنيه.. لا .. اذهبى مع أولادى وسيقدمون لك الصندوق فأنا أب كما أن أنثى الحيوان لا تزعج الأم التى تلعق أذن وليدها .

كانت تريسا تعبر النهر وتسير بصعوبة خلف الشباب الذين يحملون التابوت .. تذكرت النقود التى بيد أثدائها فتناولتها وألقت بها فى الجدول الطينى ثم مشت بهدوء خلف الرجال الذين راحوا يهزون رءوسهم تعاطفا معها .

(١١)

قبل أن تصل إلى السور الذى يحيط بالكوخ سمعت تريسا أنين الأولاد الذين يحملون الكفن الثقيل ثم أبصرت العرق المتصبب فوق وجوههم .. وضعوا الصندوق على الأرض بجوار حفرة كبيرة وعميقة ثم التقت عينا تريسا مع عينى تانيا الذى كان ممسكاً بورقة من أوراق الموز لحماية جدته من حرارة الشمس .. نظر إليها وكأنه يراها للمرة الأولى ثم سلم ورقة الموز لجيمس ومشى ببطء لمساعدة الشباب الواقفين بارتباك إزاء ذلك الكفن الثقيل دون أن يقدر على إخفاء دموعه .

تلاقت نظراتهما مرة ثانية دون أن يتبادلا أى كلمة بينما كانت نظرات الأقرباء المحيطين بالحفرة مثبتة فى اتجاه تريسا التى تناولت ورقة الموز من جيمس ومضت بصعوبة نحو الجدة ثم ركعت إلى جوارها لحمايتهامن الشمس الملتهبة .

كان الجو حاراً وبدت كاشا وانجا هادئة وكأن القرية كلها موجودة حول الحفرة الكبيرة وظل الجميع فى انتظار قدوم ميلا الذى ذهبت أونيا لإحضاره لكنها لم تعد ، فساد القلق وشعر بعضهم بالتعب من كثرة الوقوف فلم يترددوا فى الجلوس فوق

رمال التربة الباردة التى استخرجوها من الحفر ، أما الجدة فقد جلست كالحجر دون أن تقول شيئاً ولم تستطع التحرك من مكانها للاحتماء من حرارة الشمس التى أصبحت فوق كتفيها وقدميها ، قدموا لها شراباً من بيرة الذرة لكنها كانت ترفضه فى كل مرة فتقدم ابن أخيها حاملاً طاسة البيرة التى تناولتها تريسا هذه المرة ووضعتها بيد واحدة فوق شفتى العجوز التى رفعت عينيها الضعيفتين دون أن تهز رأسها وراحت تشرب البيرة وسط اندهاش الجميع .

فكر تانيا قائلاً : من سيتلو الكلمات الأخيرة إذا لم يأت ميلا ؟ . . يالها من معتقدات ! ! إنهم يرغبون فى سماع التنهدات الخرساء ليس لشىء سوى للتخفيف عن أنفسهم .

كان ميلا قد سقط على الأرض وهو قادم بصحبة أونيا فشعر بألم فى ساقه ولم يستطع مواصلة السير حتى تصادف مرور شابين ساعداه على النهوض وقاداه إلى مكان الدفن . . كانت أونيا تحمل ثلاثة أقداح سوداء فوضعت واحداً فوق ساق جدتها وقدمت القدحين الآخرين لتانيا الذى تناولهما دون النظر إليهما ثم ركعت إلى جوار جدتها فى الجانب الآخر لمساعدة تريسا فى الإمساك بورقة الموز .

جلس ميلا فوق المقعد فى مواجهة الشمس الحارقة بجوار براميل البيرة الثلاثة ذات الرغاوى الكثيرة وقال : يا أم الأولاد ، يا أبناء كاشا وانجا الذين تمتلىء بطونهم الفارغة اليوم بالدموع . . نحن نجتمع هنا وأيادينا فارغة وننظر بعين واحدة إلى الحفرة

فى الأرض وبالعين الأخرى نتطلع إلى الشمس.. بمقدورنا أن نبكى جميعاً لكنكم تعرفون أن بكاء الصمت أكثر عمقاً فلنحترس إذن ونبكى بهدوء لأن الحجر لن يتأثر من ضربات الرأس وليس بإمكاننا أن نعيد الرجل الراقد هناك.. هكذا هى الحياة يا أبناء كاشا وانجا .

ظل ميلا يتحدث وهو يتطلع إلى اليمين وإلى اليسار لمعرفة إذا ما كان عزاؤه قد خفف عن الناس أم لا لكنهم كانوا ينظرون إليه ببرود وعداء خاص حين بدأ فى رش الملح والفلفل والبهارات هنا وهناك وراح يستدعى تاريخ المتوفى .

قال ميلا : إن المرء لا يستطيع الكذب أمام قبر المتوفى وإذا كان الرجل قد أخطأ فى حياته فلابد أن نذكر الأشياء الحسنة التى فعلها .

أبصر الخوف مرتسماً فوق وجوه الرجال فأغلق عينيه واستطرد بهدوء : فى أحد الأيام الممطرة بغزارة اشتد البرق والرعد وكان طفل صغير يسير بجوار الشجرة فى حالة سيئة فانطلق هذا الرجل الذى يستريح الآن وأمسك الطفل وانقذه من موت محقق.. هذا هو نوع الرجال الذى افتقدناه.. أوه يا أم الأولاد ، لقد كان رجلاً شجاعاً وطيباً .

لم يقدموا شيئاً للناس حول الحفرة سوى موزة ناضجة لكل شخص فشعروا بخيبة أمل وقالوا : هل هذا هو كل شىء؟ هل هذا هو كل شىء ؟!

قال ميلا : اللعنة على كل شىء .

تذكر تانيا تلك الليلة المظلمة التى قابل فيها تريسا فازدادت دقات قلبه وبدت على وجهه علامات الحيرة حتى إن ملابسه التصقت بجسده ليس بسبب حرارة الشمس وإنما بفعل الغضب الشديد بداخله والكراهية والمرارة التى يشعر بهما تجاه أبيه.. ظل يرتعش وشفتاه تتحركان حين تذكر أنه لم يكره أى شخص فى حياته قدر كراهيته لأبيه رغم آماله فى التصالح معه.. لقد تمنى تانيا أن يأتى والده فى يوم ما ويناديه قائلاً : تعال يابنى لنجلس معاً ونتحدث سويا، لقد كانت رأسى مشبعة بالضوضاء ولهذا كنت أتصرف كما رأيت لأننى أحمل حجراً فى كبدى .

لو أن تانيا سمع من أبيه كلاماً كهذا لغسل أقدامه بالدموع واعتذر للجميع شارحاً لهم كل شىء ولكن أباه راقد الآن فى الحفرة ميتاً .

أقسم تانيا وهو ينظر إلى الكفن : إنه والله لخداع لعين !!

ثم أضاف وهو يمسح عرقه بأصابعه : إن أمك تجلس هنا بإذلال وثمة رجل بندوب يثرثر بشفاهه المرتعشة كالطفل أو المراهق فى محاولة منه لإزالة الرائحة العفنة التى تركتها فوق الأرض .. إنك ها هنا فى الأرض ستلوث الخراء.. أين القوة التى كنت تتمتع بها .. أين هى الآن ؟

كاد أن يخبر الحاضرين عن معاملة أبيه السيئة لأولاده وزوجته وأمه ورغب فى القول : دعونا نلقى به عند الدغل كالكلب لتأكله الضباع .

لكن شيئاً ما منعه ربما كان غضبه الشديد .

امتلأت السماء بالسحب السوداء الغامضة حين شقت أونيا الجزء العلوى من فستانها كما هى العادة ولطخت نفسها بتراب الحفرة ثم تناولت الأقداح وملأتها وقدمت القدح الأول لجدتها والثانى لتانيا والأخير لميلا .

لم تشرب الأم من القدح كما ينبغى وإنما بللت ريقها فقط ثم ناولت القداح للآخرين من حولها وهى مرفوعة فوق الأكتاف القوية للنساء الصغيرات حتى ارتوى آخر شخص بينما ألقى ميلا قدحه فى الحفرة وكذلك فعل تانيا دون أن يشرب شيئاً . تحرك ميلا بمقعده إلى جوار القبر دون أن ينهض ثم ألقى بقطعة من اللحم داخل الحفرة وقال : والآن نحن نأكل سوياً .

رش قطرات من البيرة وأضاف : والآن نحن نشرب سوياً .

لم يبك أحد أثناء نزول التابوت فى الحفرة وعند اصطدام صوت التابوت بالقاع أمسكت الأم الضعيفة الأرض بأظافرها وهزت رأسها ثم دحرج تانيا الحجر داخل القبر ووضع غصناً فوقه كعلامة .

قبل انتهاء طقوس الدفن كانت الأمطار قد هطلت بغزارة فسارع بعض الناس بالاختفاء تحت الأشجار وداخل الأكواخ غير أن تانيا ظل كما هو ولم يحاول تجنب الأمطار . مشى ببطء فاختلطت الأمطار بالعرق المتصبب من وجهه وجسده .

تساقطت قطرات كبيرة من المطر ودوى الرعد فى اتجاه

الشرق فازدادت همسات الناس وكانت الشمس تواصل رحيلها عن القرية وهناك - فيما عدا الركن الجنوبى من كاشا وانجا - كانت السحب السوداء الكبيرة تغطى السماء .

(١٢)

مضت الأيام بطيئة مع تساقط المطر الذى استمر مدة طويلة فراح الناس يبتهلون للسماء وفى الصباح المبكر كان الرجال يقودون أبناءهم وزوجاتهم لبناء الأسوار الشائكة حول الأرض الجرداء ومن كل مكان فى كاشا وانجا كان من اليسير رؤية الأرض بلون بنى محاط بالأعشاب حتى عند قبر والد تانيا حيث بدأت الأعشاب فى الظهور .

اكتست الأرض باللون الأخضر لكن قطعة واحدة فى كاشا وانجا ظلت أعشابها جافة وصفراء هى أرض أهل تانيا .

بعد مراسم الدفن مضت العائلة فى سيرها كالنحل حين يتحرك إلى خلية جديدة ثم انسحبوا داخل أنفسهم وأصبحوا منعزلين إلا من زيارات تريسا وجيمس وتوقف الأولاد عن اللعب ولم يعد بمقدورهم الحصول على الأعشاب الخضراء فماتت البقرة كيبيا وأصاب أونيا بعض الشرود وأصبح لونها شاحباً وفقدت كثيراً من جمالها .

بدأ تانيا يشعر بالقلق ولم يفارقه إحساسه الجديد بالمسئولية تجاه عائلته ثم راح يفكر فى ذلك الإشراق وتلك الأحاسيس

التى انتابته بمصاحبة تريسا حتى أصبح يصدر أصواتاً غريبة أثناء نومه فوق السرير الذى مات عليه والده وفى كثير من الأحيان كان يجلس فى الشمس أو تحت رذاذ الأمطار وهو يلعب بالتراب أو الطين .

شعر بخيانة شعب كاشا وانجا عندما أدرك أن الناس لم يأتوا يوم الجنازة إلا للسخرية من محنته وتذكر عدم زيارة ميلا فى الصباح التالى وبينما هو جالس فى الشمس يراقب دخان الأعشاب المحترقة المتصاعد إلى عنان السماء الزرقاء الجافة إذا بقلبه يخفق .

تساءل تانيا بينه وبين نفسه : ماذا ينبغى أن أفعل من أجل تلك الأفواه التى يجب أن تأكل ؟

كان أسبوع الزرع قد بدأ لكن فترة العزاء لم تنته بعد ومن العار أن يبدأ تانيا العمل أثناء هذه الفترة .. فكر فى الخروج والبدء فى تطهير الأرض وزراعتها وبذلك يجلب الكراهية والعار لنفسه ولعائلته لكنه شعر بالخوف الذى لم يكن يتعلق بإلحاق العار بوالده الميت وإنما الخوف من مزيد من العزلة ومقاطعة الناس فى كاشا وانجا .

كان الأب الميت هو الذى جلب العار للعائلة فكان تانيا يرى الناس وهم ينظرون إلى الأرض البور ثم يهزون رءوسهم بالشفقة ففكر فى حمل المنجل أو الفأس فوق كتفه والذهاب للعمل فى الأرض لكنه كان متأكداً من أنهم سيهزون رءوسهم ويشيرون بأصابعهم قائلين : الولد لأبيه .

أبصر تانيا أخته أونيا وهي تجرى ناحيته حتى اقتربت منه وجلست إلى جواره لاهثة والقلق مرتسم على وجهها .

فكر تانيا في جدته فنهض مذعوراً وقال : ماذا حدث يا أونيا ؟

توقفت أونيا لحظة لالتقاط أنفاسها وقالت : تريسا !

قال تانيا : لا .. إنها تزرع لنا الذرة .

ثم تنهد مستطرداً : سأذهب لرؤيتها .

كانت تريسا ترتدى رداء مشدوداً بحزام حول خصرها وهى تقلب التربة بالفأس يميناً ويساراً ومن خلف الشجرة الصغيرة أبصر تانيا العرق المتصبب فوق وجهها وتراب الأرض الذى يغطى قدميها ثم راح يلوح لها لكنها كانت مشغولة بوضع الحبوب في التربة .. عاودت العمل بالفأس دون أن يبدو عليها الشعور بالتعب وكانت وهى تنحنى وتحرك ذراعيها وقدميها كأنها ورقة في مهب الريح .

شعر تانيا بالهزيمة والقهر أمام حماسها وتلك الابتسامة فوق شفتيها الساحرتين ووجهها الطفولى الذى لم يتأثر بالأحداث ومعاناة الأيام الأخيرة ، فهمس لنفسه قائلاً : هل من اليسير أن يسعد المرء بعد طول معاناة ؟ ! خفق قلبه وشعر بالسرور والقوة لكنه ظل يتساءل عن قدرة المرء الذى يملك القلب ويعطى الكثير من أجل الآخرين .

طارد البعوضة بالعصا ثم قال : إنها أيضاً حشرة صغيرة لكنها تصيب المرء بالملاريا ، تنبهت تريسا لضربات العصا

ففزعت لعريها ثم ألقت بالفأس جانباً وأسرعت بتناول القميص الكاكى من على الأرض لتغطى نفسها واتجهت نحو تانيا وهى تدارى خجلها كما يتحرك الماعز الصغير نحو الحطب المحترق .

نسى تانيا أنه مايزال فى فترة الحداد فضحك وهو ينظر إلى رقبتها الطرية المنحنية .. اقتربت منه فتناول المنديل الملفوف حول رقبته ومسح به العرق برقة من فوق رقبتها ووجهها دون أن يتوقف عن الضحك .

قالت تريسا : كان يجب أن تعلن عن نفسك فقد كنت على وشك أن أرميك بحجر .

أجاب تانيا وهو يضحك : لا توجد أحجار هنا .

فقالت تريسا : يوجد بعوض فقط .

شد تانيا وجهه وتظاهر بالجدية خوفا من التمادى فى نسيان فترة العزاء ثم سألها : ماذا تفعلين ؟

فهمت تريسا ما يعنيه فوضعت يدها تحت معدتها وقالت برقة وهى تنظر إلى أسفل : هذا الرحم ليس جافاً ويمكننا أن نزرع مرة فى العام فقط وإذا كنت أنت وعائلتك لا تملكون أفواهاً لتناول الطعام فإننى أملك .

كانت يدها ماتزال فوق رحمها حين نظرت إلى بعيد فشاركها تانيا النظر فى نفس الاتجاه ثم استقرت نظراتهما عند انعكاس أشعة الشمس والدخان المتصاعد من الأرض .. حدقت تريسا فى وجه تانيا فأبصرت قطعة من الطعام فوق شفتيه ولم

تلحظ أية تجاعيد فشعرت بالانتصار والراحة وبدا عليها السرور وهى تمسح العرق من فوق جبينها .

سألها تانيا بسرعة وصوت خفيض: كيف سأشرح هذا ؟

لم تجب تريسا وألقت بالكوفية من فوق جسدها ثم راحت تعزق الأرض مرة أخرى دون تفكير فى أجزاء جسدها العارية أمام تانيا الذى حدق فيها لحظة دون أن يراها فقد كانت قطع من الزجاج وبعض الجذور البيضاء تعكس أشعة شمس الظهيرة بقوة فى اتجاه عينيه .

هز رأسه ومضى فى طريق عودته لكنه شعر بألم شديد فى قدميه وعندما وصل ألقى بجسده إلى جوار جدته وهو ينفض الرمال من فوق ملابسه.

لم تبصر الجدة دموع تانيا المتدفقة من عينيه فقالت بشفاه مرتعشة : أقسم أن شمس هذه الأيام كالقمر تماماً فهى لا تبعث على الدفء .

أجاب تانيا بطريقة آلية وهو يزيل العرق والدموع من فوق وجهه: نعم.. إنها كذلك.

ثم تحرك نحو ظل الشجرة تجنباً لحرارة الشمس .

قدمت أونيا للمرأة العجوز طاسة الموز المهروس واللحم ثم أبصرت تانيا وهو يضع رأسه بين فخذيه ويرسم بأصابعه فوق الأرض الرملية.. ناولت الملعقة الخشبية لجدتها دون أن تجيب على أسئلتها وشكاواها.. قدمت أيضاً لتانيا طاسة صغيرة بداخلها ملعقة من الألومنيوم ذات يد مكسورة وعندما رفع

رأسه من بين فخذيه عرفت أونيا أنه كان يبكى فانحنت وتحسست أكتافه بالطريقة التى تفعل بها عند ظهور فتاة أخرى فى حياته .

لم تستطع أونيا أن تكره تريسا فقد أصبحت واحدة من العائلة تشاركهم الضيق والنقص والعزلة وعار الفقر لكنها لم تستطع أيضاً أن تحبها كل الحب لأنها كانت تغار منها ومن اهتمامها بتانيا كما حدث بعد الجنازة بأيام قليلة حين اعترض تانيا على طعام أونيا فسارعت تريسا بتسخينه مرة أخرى بعد أن أضافت إليه مزيداً من الزيت والملح مما جعل أونيا تشعر بأذى كبير لم تستطع بعده سماع شكاوى جدتها المتكررة . . تساءلت أونيا : هل تستطيع أى امرأة أخرى من نساء هذه الأيام أن تقوم برعاية العائلة كما أفعل أنا ؟

ثم أضافت وهى تهمس لنفسها : لكن زواج تانيا من تريسا يفتح الطريق أمامى لأتزوج .

كانت أونيا كلما شاهدت رجلا قوى البنية مثل موجيا تجلس تحت الشجرة وتسرح بعيداً بأفكارها حتى عرفت نوعاً جديداً من المشاعر جعلها تعانى من القلق الدائم وكثيراً ما كانت شفتاها تهتزان غير أنها لم تكن تعى تماماً معنى هذا الشعور والشوق العميق تجاه موجيا الذى رأته رجلاً مناسباً . . راحت تتحسس صدرها وتزم شفتيها الناضجتين وشعرت بحب أكثر تجاه تريسا التى أصبحت سبباً نحو تحقيق رغباتها والمضى إلى مملكة الحرية المجهولة بعيداً عن عائلتها وعن لعنة بقائها بدون زواج .

همست لأخيها برقة وهى ماتزال تتحسس أكتافه : يجب أن تتوقف تريسا عن ذلك يا تانيا ، إن الناس يضحكون علينا ، يجب أن توقفها عن العمل فى الأرض حتى لو عانينا من الجوع حتى الموت .. ألا تتذكر نظرات الناس عندما كنا ندفن أبى ؟ ألا تتذكر السخرية فوق الشفاه المجعدة ؟ .. جب أن تعمل على إيقافها .. لقد مضى أسبوعان فقط ومن يدرى ما سيفعله الرب هذا العام .. قد يتساقط المطر كما حدث من قبل ولا تنسى أن جدتنا ستموت إذا عرفت لأنها مازالت تعتز بكرامتها .. لقد رأيتها بالأمس حين استيقظت فى الليل المتأخر بعد أن اطمأنت أننا نائمون ومضت ببطء نحو الركن حيث تناولت ألكاورى * Cowrie التى أخذتها من أمها وضمتها بين يديها ثم ركعت وقالت بصوت عال : (إلهى .. لم أكن أعرف أن الأمر سينتهى هكذا فلتعمل على إنهاء كل شىء الآن لأننى تعبت) .

.. لقد سمعتها بنفسى وحين عادت لتنام لم تستطع وكانت تحك بطنها .. أرجوك أن توقفها يا تانيا من أجل جدتنا وإذا لم تستطع فعليك بتكليف شخص آخر لإيقافها . قاطعتها الجدة قائلة : ما هذا الذى أسمعه يا أونيا ؟ .. هل تناول الأولاد طعامهم ؟

أجابت أونيا دون أن ترفع بصرها من على تانيا : نعم ماما .

كان تانيا طوال الوقت ينظر إلى الأفق وقد هبت نسمة هواء طرية جعلت حرارة بعد الظهر أكثر احتمالاً وساعدت فى توصيل الرسالة .. انتقل بنظراته نحو أونيا وحاول أن يقول

شيئاً لكنه ما كاد يفتح فمه حتى أغلقه مرة أخرى.. كانت أونيا ما تزال تتحسس كتفيه فمد تانيا ذراعه وراح يداعب رقبتها بيده ثم تطلع كل منهما للآخر فتبددت مخاوف أونيا. همس لها تانيا أن ترسل بعض الطعام إلى تريسا فذهبت بخفة بعد أن ملأت طاسة تانيا مرة أخرى .

تحرك تانيا من مكانه وجلس بجوار جدته وظل يساعدها في الإمساك بطاستها وتحريك الملعقة وعند انتهاء طاستها الثانية صب لها من محتويات طاسته .

قالت الجدة العجوز : أعتقد أن يدى ترتعشان فلا أستطيع التحكم فى الإمساك بالملعقة لكنه خطأك لأنك كنت توجهني .

قال تانيا : لقد كنت أداعبك يا أم الناس .

ضحكت وقالت بهدوء : ليس من العدل أن تداعب امرأة عجوز لا تستطيع حتى أن ترى .

كانت تبحث عن أنف تانيا الذى كانت تشده منه حين كان يضايقها وهو ولد صغير.. قدم لها تانيا أنفه فشدته منه وهى تضحك دون أن يشعر بالضيق لأنه كان يعرف أنها تحاول الترفيه عن نفسها من ثقل العزاء.

شعرت العجوز ببعض الرضا فقدمت الشكر لتانيا وأونيا ثم رقدت فوق بطانيتها وبدأت تشكو من الشمس وكان تانيا قد عاد إلى مكانه وظل ينظر إليها وهى تنام فى مواجهة الشمس .

حضر جيمس فى المساء وأخبر تانيا بضرورة مناقشة بعض الأمور الهامة فسار كلاهما عبر الوادى حتى وصلا إلي منزل

جيمس دون أن يتبادلا إلا القليل جداً من الكلمات .

تغير منزل جيمس كثيراً بعد نقله من مكتب الحكومة وحل فانوس الكيروسين الاقتصادى محل المصباح وبعض أشياء قليلة فى حجرة الجلوس كانت جاهزة للبيع أما التراب الذى يغطى الكتب فقد زال بسبب الاستخدام وربما بسبب عناية تريسا .

جلس الرجلان بوقار وقد وضع كلٌ منهما كوعه فوق المائدة وكأنهما اثنان من الرؤساء يتفاوضان أثناء فترة وقف القتال .

دخلت تريسا حاملة إناء اللبن وسلمت الرجلين الأباريق الخشب المليئة بالسائل الأصفر دون أن تقول شيئاً ثم صبت لنفسها فى فنجان مكسور وجلست فوق المقعد بجوار الحائط وهى تحرك الفنجان فوق ركبتيها ربما لأن الشاى باللبن كان ساخناً أو لأنها شعرت بجدية اللقاء .

رشف الرجلان من الشاى وبعد فترة طويلة من الصمت قال جيمس : بارانيا .. لقد حصلت على وظيفة .

قال تانيا بدون إحساس : رائع .. أى نوع من الوظائف ؟

ثم فكر غاضباً وقال لنفسه : أهذا هو السبب الذى استدعانى من أجله؟ .. لقد فشلت فى العودة إلى عملى الأخير وها هو جيمس يعود إلى وظيفة أخرى ولم يمض على تركه العمل سوى أسابيع قليلة .

قاطعه جيمس قائلاً : فى الأيام الأربعة الأخيرة عملت محصلاً للضرائب فى كاشاوانجا وهو عمل ليس سهلاً .. أشار إلى الشعار النحاسى المستدير فى جيب سترته المعلقة فوق

الحائط ثم أضاف : ما أن يرى الناس هذا الشعار حتى يسارعوا بالاختفاء داخل أكواخهم أو الهمس إلى زوجاتهم كما لو أنني زائر من قرية بعيدة وما يضايقني أكثر يا عزيزى هو ذلك العداء الواضح فى عيون الأطفال وهم يتعلقون بأقدام وملابس أمهاتهم ورؤية بطونهم المنتفخة . . إن نظراتهم تتهمني بأنني المسئول عن خواء بطونهم وكأنى حيوان متوحش جئت لالتهامهم . . على أية حال فإن ذلك ليس هو ما استدعيتك من أجله لأنك أيضا مسئول عن كثير من الأطفال ذوى البطون الخاوية .

ملأت تريسا قدح جيمس مرة ثانية وأعادت تسخين قدح تانيا ثم عادت إلى مكانها دون أن تقول شيئا .

تناول جيمس رشفتين سريعتين من الشاى واستطرد : لقد أخبرتنى تريسا عن كل شيء يا بارانيا وأعتقد أنها تناسبك تماماً لكنها لا تستطيع أن تزرع أرضك ولذلك فسوف أستعين بفريقين من الماشية لزراعة الجزء الشرقى من أرضى وسيكون هذا الجزء لأهل بيتك وسنقول إنك اشتريت الأرض منى مقابل العمل فيها لمدة سنة .

ساد الصمت إلا من أصوات الرياح التى كانت تهز حديد السقف وصدى أصوات الأطفال الذين يلعبون ويمرحون على بعد أمتار قليلة من ناحية الشمال .

شرب تانيا الشاي دون أن يبدو على وجهه أى شيء ، فوضعت تريسا يدها فوق ظهره وملأت له قدحه بالشاى

الساخن باليد الأخرى وبعد انتهائه من قدح الشاى الثانى صافح جيمس بقوة ونظر إلى تريسا دون أن يبتسم ثم عاد لبيته فى هدوء .

لم يكن جيمس يتوقع إجابة سريعة من تانيا . . نظر إلى المكان الذى كان يشغله تانيا منذ لحظات قليلة ثم عاد إلى مكتبه وبدأ يحسب نقود اليوم .

قالت تريسا : تصبح على خير .

تناولت جلد البقرة الذى ستنام عليه وذهبت إلى كوخ أم جيمس وثمة شعور بفرح كبير كان يتخلل قلبها وهى تغنى بصوت هادئ وتدندن فى الظلام بعد أن أطفأت موقد الكيروسين لكن بعض الصراصير وحشرات أخرى كانت تزحف عليها وتشغلها عن فرحتها وأحلامها .

(١٣)

شعرت أونيا بالسعادة والرضا بعد أن طلب تانيا من تريسا أن تتوقف عن عزق الأرض ومضت الأيام بطيئة دون أن يشعر بها أحد وما بين شروق الشمس ومغيبها ساد الملل وسط عائلة تانيا طوال أيام العزاء المريرة حتى إن الصغار كانوا حذرين فى لهوهم وضحكاتهم لكن الكبار حين توقفوا عن مراقبتهم راحوا يضحكون بأصوات عالية ويلعبون مع جدتهم وكأنهم لم يفقدوا أبيهم .

مع مرور الأيام نسى الجميع فقدان الأب وكأنهم قد تطهروا بوفاته وبدا وجه الجدة بعد العزاء متلألئاً ومتعارضاً مع التجاعيد القديمة.. كانت تجلس سعيدة فى الشمس طوال اليوم حتى ينام الدجاج تحت أشجار الموز ثم تمدد أطرافها قرب النار التى يصنعون فوقها وجبة العشاء وتحرك أصابع يديها وقدميها نحو اللهب إلى أن تمتلئ بسواد الفحم.. كانت تشعر بمزيد من السعادة والرضا بعد تناول طعام الموز .

كانت أونيا تقلدها أحيانا فتضحك الجدة بينها وبين نفسها ثم تذهب للنوم وعلى شفتيها ابتسامة مترددة .

تغيرت أحوال الجميع إلى الأفضل وبدت وجوههم مضيئة ما عدا تانيا الذى أصبح أكثر نحافة وخشونة واكتسى وجهه ببعض التجاعيد وبعد انتهاء فترة الحداد ظل يعمل بجد طوال اليوم ويبنى الأسوار حول الأرض تمهيداً لزراعتها وانتهى بمساعدة أونيا من عمل صومعة غلال للموسم القادم.. لم يكن يتحدث إلى أى شخص وبعد الانتهاء من عمله كان يعود لعائلته ويجلس بجوار أخيه الصغير وهو يحدق فى النار حتى يتم إعداد الطعام ثم يهرع إلى النوم دون أن يقول شيئاً لأحد .

ظل تانيا هكذا فى موسم الزرع أيضاً فبدا كئيباً وسط إخوته الذين رأوا فيه نسخة مطابقة من أبيهم ثم أصبح لزاماً عليه أن يتوجه لزيارة تريسا وجيمس وهناك كان يجلس عاقداً أصابعه لا يدرى شيئاً عن اضطراب وغيظ تريسا من صمته وغضب وتساؤلات جميس عن السبب فى زيارته .

استمر تساقط الأمطار أياماً كثيرة واشتدت أصوات الرعد والبرق التى سرعان ما كانت تعاود دويها بعد توقفها لحظات قصيرة فاستقبلت الأرض وابل الأمطار بشغف ورفع الناس أياديهم المفتوح تعبيراً عن الشكر والامتنان وتمايلت أغصان الأشجار لتأخذ نصيبها الكافى من الماء وفى بداية الأمر تجاهل الصغار ألعابهم وراحوا يحدقون بعيون متسائلة من فتحات الأبواب ومن الشقوق إلى تلك الأمطار الغريبة ثم يتهامسون : أليس هذا عجيباً ؟! .

مع مضى الأيام تجردوا من ملابسهم وخرجوا يلعبون فى الماء

ويقذفون بعضهم بكرات الطين وهم يصرخون ويلعنون بعضهم بغضب برئ ولكن أونيا فى ذلك الوقت كانت تجد صعوبة فى فهم ثرثرة جدتها وأحزان أخيها وذات يوم ألقت «مواتا» الصغيرة كرة من الطين أصابت بها عين أحد الأولاد فانتقم منها بتلطيخ وجهها بالطين وظل كلاهما يتربص بالآخر حتى سنحت الفرصة للولد فوضع الطين فى فمها وأنفها وعينيها وما كان من «مواتا» إلا أن ضربته بقوة فى بطنه بينما كانت أونيا واقفة ويداها فوق خصرها فراحت تتحسس قطرات المطر فوق رقبتها ثم أصدرت لهم الأمر بالتوقف وعندئذ اصطحب الأطفال الكبار «مواتا» وغسلوا وجهها بالماء النظيف .

انحنت أونيا وملأت يدها بالطين وألقت به فى فمها ثم بصقته على الأرض ولم يكن من اليسير رؤية التلال الغربية أو الإحساس بملابسها الملتصقة بجسدها بطريقة فاضحة.. شعرت أونيا بالأرض حولها وكأنها تلهث بحياة جديدة وعندما توقفت الأمطار بعض الوقت مخلفة وراءها برداً شديدا استطاعت أن ترى التلال الغربية عبر القرية وبدا لون الأرض جديداً وكأنه عام جديد وحياة جديدة .

مضت نحو قطعة الأرض التى زرعت فيها بذور الذرة وهى تحلم أن تراها مثمرة وفى الطريق مرت بجوار قبر أبيها فأبصرت الأعشاب الخضراء فوق القبر والتقطت أحد هذه الأعشاب كما يلتقط المرء وردة ثم واصلت المسير .

كانت بذور الذرة قد أثمرت فشدت واحدة منها وأمسكت

بها فى نفس اليد التى التقطت بها العشب الأخضر من فوق قبر أبيها ونظرت إليهما وقد لاحظت ذلك الاخضرار اللامع واللون الأصفر الملطخ بالطين ثم فتحت يدها وألقت بهما إلى الأرض المبللة وعندئذ شعرت بأن شيئاً ما يتحرك داخلها... تحسست ثديها وبطنها فارتعش جسدها وشعرت بالاحباط حين تذكرت تانيا وحالته التى لا توحى بأى تقدم فقالت لنفسها : (سوف أهرب بعيداً.. سوف أهرب إلى أى مكان.. ربما أهرب إلى المدينة حيث أستطيع أن أجد عملاً.. أى نوع من العمل كما لو أننى اعتنيت بنفسى قليلاً وتعلمت اللغة السواحلية أكثر لاستطعت أن أتزوج رجلاً متعلماً وأنجب منه أطفالاً) .

كانت أونيا تهز قبضة يدها وتبكى حتى لم يكن من اليسير معرفة إذا ما كان السائل النقى فوق خديها متدفقاً من عينيها أم من المطر .

عندما عادت إلى البيت كانت جدتها تكرر بغضب : سوف أموت .

لم يكن تانيا موجوداً فلابد أنه عند جيمس وكان الصغار بعد أن تصالحوا يلعبون عند الكوخ الشمالية غير مبالين بالأم العجوز.. ركعت أونيا إلى جوار جدتها ووضعت مزيداً من الخشب فى النار ثم غطت نفسها جيداً وقالت : لا.. يا أمى.. سوف تعيشين هذا الموسم وكثيراً من المواسم الممطرة الأخرى .

لم ترد عليها المرأة العجوز لأنها لم تسمعها أو لأنها لم تصدق كلماتها فشعرت أونيا عندئذ بذنب كبير لمجرد أنها

فكرت في الهرب وهجر عائلتها وظل يطاردها هذا الإحساس بالذنب حتى انعكس في نوعية وكمية عشاء تلك الليلة.. في طريقها للنوم أقسمت لنفسها ألا تترك العائلة أبداً حتى لو وجدت الرجل الذى تحلم به لأنها فى حاجة لجدتها تفوق حاجة جدتها لها ولأن وجودها لا يجعلها تشعر باليتم..

.. مضت كالطفل الخائف من الرعد الهادر بالخارج نحو سرير جدتها في الظلام ووضعت يدها فوق كتف العجوز المليء بالعظام وظلت تربت برفق عليه حتى نامت بجوارها .

وصل تانيا إلى منزل جيمس في ذلك المساء الصاخب بالرعد فأبصر تريسا جالسة بمفردها فوق العتبة وقدماها ممددتان فوق الأرض المبللة بماء المطر.. كانت شاردة الذهن وهي تصنع سلة من أوراق الموز.. ارتعشت بشدة وأصابها التوتر أكثر مما حدث لها حين رؤية تانيا أول مرة في بيت ماريا ولم تتحرك من مكانها وتفسح له الطريق للدخول تجنباً للأمطار لكنه عرف طريقه ولم يكن جيمس بالداخل .

جلس تانيا بجوار المائدة وهو يعبث بأصابعه بينما تواصل تريسا عمل السلة من أوراق الموز.. فتح تانيا فمه ثم سارع بإغلاقه فلم يكن يعرف ما يريد أن يقول أو كيف يقول وكذلك حاولت تريسا لكن كلاهما لم يفعل حتى مضى وقت ليس بقليل ألقت تريسا بعده بالسلة في المطر ومشت نحو تانيا ثم وقفت أمامه دون أن تلمسه أو تبتسم وبعد أن حدقت فيه بعض الوقت وضعت يدها فوق ركبته واستدارت حتى أصبحت في

مواجهة المطر . . ركزت نظراتها فوق عتبة الباب وقالت لتانيا بصوت عال : ما هو مصيرنا ؟

اهتز جسد تانيا وأفاق من أحلامه التي ظلت تلاحقه طوال الأسابيع الماضية لكنه لم يدرك ما تعنيه تريسا وحين كررت سؤالها أجاب : أوه . . لا أعرف لكنني أعتقد أنه نفس الشيء الذي يحدث لكل الناس .

لم تكن إجابة كافية بقدر ما كانت إعلاناً عن وجوده لكنه شعر ببعض الذنب فاستطرد : سوف نتزوج في أسرع وقت .

استدارت تريسا مرة أخرى فأصبحت في مواجهته ولم يكن وجهها يوحي بالسرور قالت والدموع تتعانق فوق رموش عينيها ببطء وألم : أنا لا أعني ذلك .

ـ وماذا تعنين إذن ؟

ـ لا أعرف . . لا أعرف كيف أشرح الأمر لأنك قد لا تفهمني . . لقد حلمت بالحياة معك لكن الأمر يبدو الآن وكأنني لن أحصل على شيء سوى الحياة الكئيبة في منزل ماريا .

ابتعدت عنه ثم عادت إلى مكانها فوق العتبة وقد بدا عليها الهدوء والراحة بعد أن انتهت من كلامها .

تحرك تانيا وجلس بجوارها ثم وضع يده فوق رقبتها وقال : لا أفهم ما تقصدين ! ! لم تكن قادرة على مقاومة لمساته حين قالت : لم أستطع أبداً أن أفهم الآخرين ولم أعد قادرة على فهم نفسي ولكن .

توقفت ثم قالت : ماذا حدث لك يا تانيا؟ لماذا تسعى إلى تدمير نفسك وتدميرى ثم تلقى باللوم على الآخرين؟.. لقد مات والداك مثلما يموت كل الناس ولقد فقدت وظيفتك وتفكر دائماً أنك ابن غير شرعي و.. لكن كل هذه الأشياء وأكثر منها حدثت للآخرين دون أن يعملوا على تدمير حياة الآخرين..

لماذا يا تانيا خاصة وأنك رجل كامل ؟

دست وجهها فى صدره فتدفقت دموعها رغما عنها حتى وصلت إلى بطنه ثم أضافت : إننى فى حالة انتظار دائم.. كل يوم بعد عودتى من الحقل أظل فى انتظارك يا عزيزى لأسمع منك شيئاً واحداً جميلاً.. كل يوم أنتظر مجيئك لتقول لى بأنك تحبنى أو تحتاجنى.. كان من اليسير فى منزل ماريا أن أواصل تلك الحياة البغيضة لأننى لم أكن أعرف سواها لكنك جئت وعلمتنى أشياء أخرى.. علمتنى الحب وهاقد مضت أيام كثيرة حتى أثمرت بذور الذرة التى قمت بزراعتها وأصبحت تلامس خاصرتى وأنت ماتزال تتحرك وتحوم حول المكان كالشبح.. أرجوك لا تدمرنى.. أرجوك ! .

كانت الدموع ما تزال تتدفق من عينيها لكنها شعرت بالراحة والهدوء فطلب منها تانيا أن تجلس إلى جواره ثم قال بهدوء بعد لحظات من الصمت : كل شىء كان يبدو عبثياً وكانت محاولة لمعرفة الحلم من الواقع.. يا إلهى.. أنت تعرفين بأننى أحبك أكثر من أى شىء آخر يا تريسا لكن الرجل حين يعانى من الجرب فى ظهره فإنه يستخدم الملعقة التى يأكل بها

فى حك ظهره أما أنا فقد كنت أحاول حك الجرب لكننى لم أستطع تحديد مكانه وربما لا أستطيع ذلك أبداً .

قالت تريسا وهى تربت فوق ظهره : دعنى إذن أحك لك ظهرك .

أضاف تانيا وكأنه لم يسمعها : أعتقد أنه في يوم ما لابد أن ندمر بعضنا البعض ولا أقصد أنا وأنت فقط وإنما كل العلاقات الإنسانية التى تؤدى مباشرة بطريقة أو بأخرى إلى الدمار والخراب مثلما تؤدى الحياة إلى الموت فنحن يا عزيزتى نملك بذرة الدمار داخلنا ونعمل على انتشارها كالمرض وهكذا فعل أبى حين التقط هذه البذرة من مكان ما ونقلها لى كى أنقلها بدورى لك وهكذا . . لا يقلقنى أننى ابن غير شرعى أو أننى فقير لكنه شيء آخر أكثر عمقاً ، أكثر عمقاً بكثير ! . . إن شيئاً ما بأعماقى هو سبب كل هذه الأعراض وأنت على حق فيما يتعلق بأننى لست الوحيد الذى يعانى حتى إن بعض الناس اعتاد هذه المعاناة وبعضهم الآخر يحاول التخفيف عن نفسه بأشكال مختلفة كما تفعلين أنت وثمة آخرون يضربون رءوسهم في الحائط مثلى ويقررون كما قررت أنا الآن إلقاء أنفسهم فى بركة الحياة القذرة التى لا يستطيعون تنظيفها .

لم تفهم تريسا كل ما قاله تانيا وربما لم يفهم تانيا نفسه ما كان يتحدث عنه لكنها فهمت تماماً تلك الأحاسيس وذلك الارتجاف بين أحضانه فرفعت بصرها وعدلت من نفسها ثم راحت تجفف دموعها من فوق عينيها ومن فوق صدر تانيا

كالطفل الصغير وأوشكت أن تقول قولاً حميلاً كما بدا فى حركات شفتيها لكن حضور جيمس وبصحبته مارى جعلها تتوقف .

كان جيمس يحمل سلة كبيرة فوق كتفه فقال وهو يحاول تنزيلها : لن أسبب لكما أى قلق فإننى أيضاً مشغول .

قفزت تريسا لمساعدته فى تنزيل السلة الثقيلة وقالت : حقاً . . من . . من ؟

أجاب جيمس : لا داعى للعجلة لأنك ستعرفين فى الوقت المناسب .

كان جيمس مخموراً ويبدو عليه السرور أكثر من أى وقت مضى . . وضع يده فوق كتف تانيا وقال : بارانيا . . يجب أن تسعد لأجلى اليوم، لابد أن تسعد لأجلى .

ثم هز إصبعه أمام تانيا وراح يرقص رقصة خفيفة وقال بصوت مخمور : إننى سعيد جداً اليوم وإذا لم تشاركنى سعادتى« فسوف أحطم رأسك . . دعنا نحتفل باستقلال «ياكامباث» مع هذه السلة . . أعتقد أنه اليوم . . أليس كذلك ؟

لم يسمع كلٌ من تانيا وتريسا عن ذلك الاسم الغريب من قبل لكنهما قالا وهما يضحكان : نعم .

ثم نظر كلاهما للآخر وازدادت ضحكاتهما حتى أن الدموع تساقطت من عينى تانيا من شدة الضحك على ذلك البلد الغريب الذى نال استقلاله فبدا وكأنه كان يدخر ضحكاته منذ زمن طويل . . هرعت تريسا إليه خوفاً من أن يكون قد أصابه

شيء لكنه توقف وحين التقت عيناه بعينى تريسا ضحك من جديد .

توقف تانيا أخيراً عن الضحك وقطب وجهه فلاحظت تريسا اختفاء الطيات الثلاث فوق حاجبيه ثم همست له : لا داعى لأن يدمر كلانا الآخر يا حبيبى.

وقف تانيا وقال : اللعنة.. لا داعى لذلك وافتحى زجاجة البيرة

بدأوا يشربون على شرف «ياكامباث» ثم قال تانيا بعد أن شرب زجاجة كاملة : إنه ليس الاحتفال باستقلال هذا البلد بالتأكيد فبأى شيء تحتفل يابارانيا ؟

هل ارتفع راتبك ؟

قال جيمس وهو يداعب رغوة البيرة بلسانه وقد بدا مخمورا تماماً : لو أننى امرأة لكان لى خمسة من الأبناء غير الشرعيين الآن.

ضحكوا جميعاً وقالوا : نعم .. بالتأكيد .

حاول جميس أن يتسم بالجدية لكنه لم يستطع إخفاء الابتسامة الصغيرة التى كانت تطفو فوق أحد أركان فمه ثم قال : لا.. يابارانيا فلقد قابلت اليوم ـ أثناء جولاتى الضريبية ـ امرأة عجوزاً دعتنى لمشاركتها فى تناول الذرة بالفول السودانى على الغداء وكما تعرف أننى لم أعش هذه الحياة من قبل.. إنها ياتانيا أرملة ذات أقدام متورمة بداء الفيل ولا تستطيع أن تتحرك لكنها سعيدة جداً.. لقد جعلتنى أرى الحياة من جديد وأشعر بالمتعة التى افتقدتها وعندئذ قدمت لها وعداً بأن أهبها

جزءاً من راتبى كل شهر . . لقد عرفت أن هناك كثيراً من الأشياء تستحق أن يحيا الإنسان من أجلها فلماذا يا عزيزى يبدد كل منا نفسه فى الشكوى الدائمة من أشياء تافهة مثلما تفعل بعض النساء الناضجات اللاتى يمتنعن عن مضاجعة الرجال ثم يقدمن الشكوى من عدم الإنجاب؟ . . إن تلك المرأة العجوز تعيش حياة بسيطة وسعيدة لأنها لا تملك شيئاً وهكذا قررت أن أتزوج وأنجب أطفالاً وهذا هو ما أحتفل به .

ضحكوا مرة أخرى وكانت البيرة قد أدارت رءوسهم جميعاً لكنهم لم يتوقفوا عن الشراب حتى لم يعد جيمس قادراً على التماسك .

نهض تانيا وقال متجاهلاً تريسا : وأنا قررت أيضاً الزواج لكننى لا أطمح فى الإنجاب رغم أن الطرف الآخر يطمح فى ذلك .

ابتسمت تريسا ونظرت إلى الأرض كى تدارى خجلها .

قال جيمس وهو فى الطريق إلى سريره : لماذا لاتنام هنا الليلة ؟

أجاب تانيا : لأننى لو نمت هنا وأنا مخمور فإن شخصاً ما سوف يعانى . . طابت ليلتكم .

ثم اختفى فى الظلام .

لاحقته تريسا بنظراتها وبعد أن اختفى تماماً شعرت به داخل قلبها فقالت وهى تمضى لتنام فى كوخ المرأة : طابت ليتلك يا حبيبى ولتعتن بنفسك .

كان الحصاد وفيراً فى ذلك العام وكانت النباتات الخضراء تغطى كل مكان وتتمايل مع الرياح وكذا كانت أشجار الموز التى مالت حتى اقتربت من الأرض بعناقيدها الخضراء الطازجة والكاسافا* وأيضاً البطاطا التى تشققت فوق سطح الأرض فساد الفرح فى كل أنحاء كاشا وانجا وامتلأت قلوب الأمهات والآباء بالبهجة لكنهم كانوا خائفين من الإعلان عن فرحتهم وبهجتهم قبل أن يصل الحصاد إلى أماكن التخزين خشية أن يهجم الجراد أو الطيور الغريبة على المحصول فتنتشر الأمراض ويفسد ذلك المحصول الوافر .

فرح الصغار ولمعت وجوههم كما اتسم شجارهم بالعنف بسبب بطونهم المليئة بالذرة المغلى والموز . . ظلوا يأكلون الذرة كما يأكل السنجاب حبات الفول السودانى وعندما كان التعب يصيبهم من كثرة الطعام كانوا يمضغونه أو يصنعون منه كرات يتقاتلون بها ثم يعودون إلى بيوتهم فى المساء قانعين سعداء فيرتمون فوق حجر أمهاتهم ويقولون : نريد أن نشرب ياماما .

كانت الأمهات تبتسمن بمزيد من الرضا فلا شىء فى كاشا وانجا يبعث على الفرح أكثر من بطن مستديرة ومليئة بالطعام .

أصبحت الليالى هادئة فى كاشا وانجا بعد أن توقف الصغار عن اللعب وظل الشباب يتطلع بقلق نحو الشمال خوفاً من قدوم الجراد ونحو الشرق خوفاً من الرياح الحمقاء لكن شيئاً لم يحدث وساد الأرض هدوء غريب وفى كل مكان من كاشا وانجا كان الناس يتهامسون فى انتظار موسم الحصاد .

مضت الأيام فأثمرت بذور الذرة ولم يعد ثمة احتمال لهجوم الجراد فراح الشباب يقارن أحجام الموز والفاكهة وحبات الذرة ويقول كل واحد منهم: إن التي معي أكبر حجماً .

ثم يضحكون وقد تلاشى الخوف تماماً .

امتزج قلب تانيا أيضاً بخليط من الفرح والخوف لكنه بعد أن أصبح مشغولاً ببناء كوخ زفافه لم يجد الوقت الكافي للتفكير في ذلك الخليط.. كان يضع الطين فوق الحوائط الخارجية للكوخ حين شعر بالفرح أكثر من أى شيء آخر وتذكر فجأة أنه لم يعد يفكر فى أبيه إلا فى المرات القليلة التى زار فيها قبره الأخضر وعرف بينه وبين نفسه أن خطوبة أونيا وجيمس كانت سبباً كبيراً فى إحساسه بالفرح .

ذات يوم كان تانيا وتريسا يزينان سقف الكوخ المصنوع من القش حين تذكر تانيا أباه وقال: شيء غريب.. أليس كذلك؟ شيء غريب ألا يحدث حصاد بهذه الوفرة على مدى أجيال فى كاشا وانجا إلا بعد وفاة أبى ! !

قالت تريسا : لا تفكر هكذا ياتانيا فليست هناك علاقة بين موت أبيك وحصاد هذا العام .

لم يكن تانيا قد سمع شيئاً حين استطرد: حتى ذلك الغصن فوق قبره قد أثمر .

قالت تريسا بقلق: ماذا تعنى؟ ولما لا يثمر ؟

أجاب تانيا : لا أعرف.. هات السكين .

وكانت هى المرة الأخيرة التى تناولا فيها ها الموضوع .

(١٤)

بعد موسم الحصاد يشعر الناس بالشبع فلا يهتمون كثيراً بحضور حفلات الزفاف أو طقوس العزاء لأنهم ليسوا فى حاجة لوجبات الذرة واللحوم والبيرة التى يقدمونها فى الأفراح والمآتم وهكذا كان زفاف تانيا وتريسا هادئاً لم يتجاوز الحاضرون فيه عشرين شخصاً فشعرت تريسا بالأسى الشديد وتسلق الحزن قلب تانيا حين أبصر زوجة ميلا جالسة فوق مقعد جدته التى ماتت منذ أسابيع قليلة أثناء نومها .

لم يتأثر أحد بموت الجدة كما لم يقدم أحد العزاء فيها لكن الناس فى كاشا وانجا كانوا يقولون : إنها امرأة محظوظة فقد كانت بلا خطيئة .

شعر تانيا بفقدانها وهو يعاود النظر إلى مقعدها وتمنى لو أنها موجودة حتى لو بدأت تشكو مرة أخرى من حرارة الشمس .

بدأ الناس يغادرون المكان واحداً تلو الآخر مخلفين وراءهم هداياهم من الماشية والماعز والدجاج مع تمنياتهم بأجمل الأمنيات .

شعر تانيا في البيت الجديد بالعذوبة والانتعاش وظل يفكر مع تريسا فيما سيفعلانه من الآن فصاعدا.. لم تكتمل فرحة تريسا تماماً لعلمها أن تانيا يعرف بأنها ليست عذراء وأنها بلا أهل يأتون في الصباح التالي لذبح الماعز من أجلها كما أنها شعرت بالضيق خشية ألا تقدر على إشباعه لكن تانيا كان قوياً حتى أنها زعقت من أعماقها : شيء جميل.. الحياة جميلة جداً.

عرفت تريسا شيئاً آخر وقدم العالم نفسه أمام عينيها المغمضتين في صورة جديدة متعددة الألوان وراحت تردد طوال تلك الليلة قائلة : إنها بداية طيبة .

وكان تانيا يكرر مرة تلو الأخرى: نعم .. إنها بداية طيبة .

ولم تكن تريسا تشعر بالرغبة في الاغتسال كما كانت تفعل في بيت ماريا كما لم تحس طعم المرارة أبداً في فم تانيا عندما كانت تنام في سلام .

مضت الأيام بفرحٍ ثم تمثلت أفراحهما بعد ذلك في العمل وتناول الطعام معاً وبعد وقت ليس بطويل أصبحا مثل كل أزواج الدنيا وبدأ تانيا يشعر بالتعب .

فرح كلاهما مرة أخرى عندما تزوجت أونيا من جيمس فمضت الأيام سريعة ومتلاحقة وتحولت أرض كاشا وانجا إلى اللون البني مرة أخرى فأصبح لزاماً على تانيا أن يواصل عمله في الحقل بجد بينما كانت تريسا في البيت تقوم بأعمال الغسيل والطهي في انتظار عودته كل يوم .

كانت تطهو له الطعام باهتمام وحب بالغين وعندما يكون

اللحم قليلاً كانت تقدم للصغار قطعاً صغيرة وتكتفى هى بالشم فقط كى تحتفظ بالنصيب الأكبر لزوجها الذى يعود للبيت بجبين مليء بالعرق.. كانت تريسا تقدم له الصينية الخشبية وتجلس إلى جواره وهو يأكل وعندئذ تحس بالرضا الكامل لكن تانيا كان يطلب منها أحياناً أن تشاركه الطعام فكانت تتدعى أنها تناولت طعامها رغم الجوع الذى تحس به .

كان تانيا يأكل ويشرب إلى حد الشبع ثم يمضى ليستريح قليلاً فى الشمس بعد أن يقول لها : شكراً يا ماما .

عاد للبيت ذات يوم فلاحظ أن تريسا أكثر سعادة من أى وقت مضى ولم تكن تلك السعادة بسبب ترقية جيمس وذهابه للعيش مع أونيا فى مدينة كبيرة أو بسبب الطرد الذى تركه جيمس لتانيا والذى يحتوى على بنطلونين وقميص وإنما كانت سعادة تريسا بسبب شىء آخر أدركه تانيا بسرعة فوقف على أصابع قدمه وظل يصيح ثم مضى نحوها وأمسك رأسها بيديه المليئتين بالعرق وقال بهدوء : لقد أنقذتى حياتى يا حبيبتى فأنا أشعر الآن بالتحقق وأمسك بين يدى الآن مالا أستطيع أن أفهمه .

نظرت تريسا إليه ولم تقل شيئاً ثم بكت بشدة ونظرت إلى الأرض لكن تانيا رفع رأسها مرة أخرى واتجه ناحية الغرب إلى لا مكان فى اتجاه الشمس الغاربة .

كان يراقب بطن تريسا وهى تكبر يوماً بعد يوم بنظرات خجلة كما يراقب الطفل حبات الفول التى زرعها.. عرفت تريسا أنه يراقب بطنها المستديرة فأصبحت تنظر إليه نفس

النظرات الخجولة حتى التقت نظراتهما ذات مرة ففهم كلاهما الآخر وراحا يضحكان .

أنجبت تريسا ولداً فأطلق عليه تانيا اسم «تيرينيا» وكان يدعوه بالمنتقم . . تبادل العناية به مع تريسا وعاشا معه لحظات نموه بنفس الفرح والقلق الذى عاشا به لحظات نمو بطن تريسا .

اقتربت ملامح الطفل من ملامح أبيه فأبصر تانيا صورة أبيه في وجه ابنه وعينيه وأذنيه ثم ذهب إلى قبره المهجور حيث ركع فوق الأعشاب الناعمة وقال وهو يبكي بمرارة : أبى . . سامحنى فلقد أخطأت فى حقك خطأً كبيراً . . سامحنى أرجوك .

عاد إلى البيت بعد زيارة قبر أبيه فكانت تريسا تلعب مع المنتقم . .

أشار إليه تانيا لكن الطفل هز رأسه وجرى نحو أمه .

ضحك تانيا وقال : هكذا هى الحياة . . إنها مثل الدائرة .

اقتربت تريسا من زوجها حاملة الولد فوق ذراعيها ثم ركعت إلى جواره وقالت بقلق : ماذا تعنى ؟

داعب تانيا أرضية الكوخ الناعمة ووضع يده فوق كتفها ثم قال : انظرى إلى إصبعى . . إننى أبدأ هنا .

رسم بإصبعه دائرة فوق الأرض البنية الناعمة وأضاف : وهأنذا أنتهى من حيث بدأت تماماً وهكذا هى الحياة .

لم تفهم تريسا شيئاً لكنهما تبادلا الضحكات بينما كان المنتقم نائماً فحملته تريسا ووضعته فوق السرير .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومي للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت . شوقي جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت . حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت . بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت . جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت · ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت · عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت . محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت · لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت . محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت . على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف . محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت . أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانغ رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

العنوان	المؤلف	المترجم
٧٢ – السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت . فؤاد مجلى
٧٣ – نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيميـنوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت . عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت . محمود السيد على
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت . خالد المعالى
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت . عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت . عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت . إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت . نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت . أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت . عبد الغفار مكاوى
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت . عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت . محمود علي مكي
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت . منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت . ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادي پلانت	ت أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت . نسيم مجلي
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت سمية رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت . نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت . منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهري سنبل	ت بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت . منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل الكسندر وڤنادولينا	ت أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	چون جراي	ت أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديڤي	ت سمحه الخولي
١٢٦ - فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت . عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحي	ت . بشير السباعي
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت شوقي جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق علي	ت . طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت . ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت . سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	چوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تاروني	ت . وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت . مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت . أمل الجبوري
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت . نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ - قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت . عدلي السمري
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت . سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث — كارلوس فوينتس — ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء — ميجيل دى ليبس — ت . على عبد الرؤوف اليمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة — تانكريد دورست — ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية) — إنريكى أندرسون إمبرت — ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس — عاطف فضول — ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية — روبرت ج ليتمان — ت : منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١) — فرنان برودل — ت . بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى — نخبة من الكُتاب — ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة — فيولين فانويك — ت . فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت — فيل سليتر — ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر — نخبة من الشعراء — ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى — جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو — ت . مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين — النظامى الكنوجى — ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢) — فرنان برودل — ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية — ديفيد هوكس — ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة — بول إيرليش — ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى — اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا — ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة — يوحنا الأسيوى — ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١ — جوردون مارشال — ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور) — جان لاكوتير — ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب — أ . ن أفانا سيفا — ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل — يشعياهو ليڤمان — ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور — رابندرانات طاغور — ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة — مجموعة من المؤلفين — ت . شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية — مجموعة من المبدعين — ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق — ميغيل دليبيس — ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد — فرانك بيجو — ت . هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس — مختارات — ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال — ولتر ت ستيس — ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء — ايليس كاشمور — ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية — لورينزو فيلشس — ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية — توم تيتنبرج — ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف — هنرى ترويا — ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث — نخبة من الشعراء — ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب — أيسوب — ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد — إسماعيل فصيح — ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى — فنسنت . ب . ليتش — ت : محمد يحيى

العنوان	المؤلف	المترجم
١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علَوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	الڤين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو – أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت . طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت . رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردينا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت . مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت . أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رايوخ	ت . نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت . صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت . نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت . على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت . عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت . رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردون مارشال	ت بإشراف محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد منديثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الجينات الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنونًا	يوربيديس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

العنوان	المؤلف	المترجم
٢٩٣ – مقدمة للأدب العربي	روجر آلان	ت نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايترى ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج فى حضرة التاج	محمد روشن	ت محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – التأريخ الغربى للفن الحديث	دبليوجين كلينباور	ت خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت سامى صلاح
٣٣١ - عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت سامية دياب
٣٣٢ - القصة القصيرة فى اسبانيا	نخبة	ت على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ - الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت بكر عباس
٣٣٤ - لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت مصطفى فهمى
٣٣٥ - عصر الشك	ناتالى ساروت	ت فتحى العشرى
٣٣٦ - متون الأهرام	نصوص قديمة	ت حسن صابر
٣٣٧ - فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت أحمد الأنصارى
٣٣٨ - قصص قصيرة من الهند	نخبة	ت جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ - تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ - اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت فخرى لبيب
٣٤١ - قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت حسن حلمى
٣٤٢ - سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت عبد العزيز بقوش
٣٤٣ - العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت سمير عبد ربه
٣٤٤ - الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت سمير عبد ربه

رقم الإيداع : ٥٠٨٠ / ٢٠٠٢

شركة الأمل للطباعة والنشر

(موراڤيتلى سابقاً)





Dying in the sun

Peter k. Palangyo

ولد "بيتر بالانجيو" عام ١٩٣٩، وبعد
أن أظهر اهتماماً كبيراً بالأدب ترك دراسته
العلمية، وبعد حصوله على الدبلوم من